سمير الجندي

الرواية الفلسطينية والتراث

روايات ديمة السمان أنموذجًا

AL JUNDI
PUBLISHING HOUSE

سمير الجندي
الرواية الفلسطينية والتراث
روايات ديمة السّمان أنموذجًا
الطبعة الأولى (2011)

صدرت عن



دار الجندي للنشر والتوزيع - القدس
00972542263454
info@aljundi.biz
www.aljundi.biz

سمير الجندي

الرواية الفلسطينية والتراث

روايات ديمة السّمان أنموذجًا

AL JUNDI
PUBLISHING HOUSE

الإهداء

إلى الذين كتمت في حبهم دمعي، عندما ذهبوا... بناتي، حتى إذا ساروا

وقد نزعوا من أضلعي قلبًا عليهم يحنو... أولادي، ألفيتني كالطفل

عاطفة، فإذا بي كالغيث ينسكب... أحفادي..

إلى التي سهرت الليالي، بالنصيحة والدعاء... إلى روحها أُمي رحمها اللـه..

إلى والدي الذي أسكنني قلبه فأضاء حياتي بالقيم النبيلة..

إلى رفيقتي الغالية زوجتي..

إلى وطني فلسطين..

سمير

الفهرست

المقدمة

الحمد لله الذي لم يحمّلنا ما لا طاقة لنا به، وقيَّض لنا من جميل عوْنِهِ دليلاً هاديًا إلى طاعتِهِ، ووهبَنا من توفيقه أدبًا صارفًا عن معاصيه، ولم يكلنا إلى ضعف عزائمنا، وحيرةِ آرائِنا، وسوءِ اختيارِنا، وقِلّةِ تمييزنا، وفساد أهوائِنا.

أمّا ما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع، فهو إيماني بما يشكّله التّراث من أهميّة وقيمة بالنسبة إلى الأمّة التي تعمل على أن تبقى قويّة أمام الأمم، فمثل هذه الأمّة لا بدَّ لها في كل فترة من فترات الزمن أن تراجع حساباتها، وتعيد النظر في تراثها بين كل فترة وأخرى، لكي تعمل على تنقيته فتترك منه ما تترك، وتأخذ ما ينفعها من زاد تستطيع من خلاله أن تواجه الحاضر والمستقبل معًا، فالتراث، هو الرئة التي تتنفس الأمة من خلالها، وهو رصيدها الحضاري في سجل التاريخ، وأمةٌ بلا تراث، هي أمة متصدعة، لا جذور لها، ولا أصول؛ لهذا، فعملي هو محاولة للكشف عن أهمية التراث، ومدى قدرته على الفعل، وإثراء الحاضر والمستقبل في

مجالات المعرفة. من هذا المنطلق، فإنني أرى أنَّ تلك الرؤية التي تتكئ على التراث، وهي تنظر إلى النص الروائي لترصد أثر هذا التراث في روايات ديمة السمّان على مستوى الشكل والمضمون معًا للوقوف على مدى تأثير الماضي في الحاضر، وقدرة الحاضر على فهم الماضي من أجل بناء نفسه وبناء المستقبل.

وعندما بحثت في المكتبة العربية عن دراسات سابقة لروايات ديمة السمّان، لم أجد من درَسها، وهذا سبب يضاف إلى الأسباب الآتي ذكرها لدراسة التراث في رواياتها، والتي أُلخصُها بالآتي:

1- يلمس القارئ، في روايات الكاتبة المقدسية، ميلَها إلى محاورة التراث، ولا سيّما الشعبي منه، من أجل إحياء هذا التراث، وتأكيد وجوده، بوصفه ممثلاً لأحد الركائز الأساسية في ربط الفلسطيني بأرضه، وماضيه، وبهويته الإنسانية والوطنية، ويرسخ القواعد الثابتة أمام حركة الاجتثاث والتغريب، ومحاولات طمس الهوية الفلسطينية وإزالتها من الوجود.

2- تتنوع أنماط التراث التي تحاورها الكاتبة، لتشمل الآياتِ القرآنيةَ، والأحاديثَ النبويةَ، والمعتقداتِ الشعبيةَ،والأشعارَ العربية، والأمثالَ الشعبية الفلسطينية والعربية.

وقد استعنت بعدة مناهج نقدية، فأخذت منها ما يتناسب وحاجات البحث دون التعصب أو التحيز لمنهج معين، ولجأت للمنهج الوصفي، فوصفت شخصيات الروايات موضوع الدراسة، وعقّبت على تأثير التوظيف التراثي على وصف الشخصيات ورسم حركاتها، واستعنت بالمنهج النفسي الذي يهتم باللاشعور، وتأثيره في سلوك الإنسان، وأثره على الكاتبة في توظيف معلوماتها وخبراتها، وكيفية استخدامها لهذا التوظيف في سردها، كما استعنت بالمنهج التاريخي، في قراءة الأحداث التاريخية وتوظيفها في العمل الروائي، واستعنت بالمنهج الأسلوبي في تحليل بعض النصوص اللغوية ودلالاتها.

من المشاكل التي واجهتني أثناء إعداد هذه الدراسة، قلة الدراسات والأبحاثِ في هذا الموضوع، وعدمُ وجود مكتبات عامة تفي بالغرض، وافتقارها لبعض المراجع التي احتجت إليها، الأمر الذي تطلب مني السفرَ إلى الأردنّ، للحصول على ما احتجت إليه من مراجعَ ومصادرَ تُعينني على إتمام بحثي على أكمل وجه.

السيرة الذاتية للكاتبة[1]

ولدت ديمة السمَّان في مدينة القدس سنة (1963)، ودرست في كلية شميدت، وأكملت تحصيلها العلمي في جامعة (بير زيت) بكالوريوس لغويات، حصلت على دبلوم عالٍ في إخراج أفلامٍ وثائقيةٍ قصيرة، وعملت محررةً في العديد من الصحف والمجلات المحلية منها: الأسبوع الجديد، ومع الناس، والصدى، ومرايا.

نُشر لها العديد من المقالات الأدبية والسياسية والتربوية، والنقدية، والقصص القصيرة، في عدد من الدوريات داخل فلسطين وخارجها، وعلى الصفحات الإلكترونية.

عملت مخرجة في هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، وشاركت بإخراج عدة أفلام قصيرة، تمَّ بثَّها في محطات التلفزة داخل وخارج

(1) ديمة السمان، السيرة الذاتية للكاتبة، وزارة التربية والتعليم، 22/ 11/ 2010، (مقابلة شخصية).

فلسطين. كذلك شغلت منصب مديرة دائرة الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية بين الأعوام (1997-2005)، وتشغل حاليًّا منصب (رئيس وحدة شؤون القدس) في وزارة التربية والتعليم العالي، كما شغلت مناصب إداريةً في العديد من المؤسسات منها: اتّحاد الكتَّاب الفلسطينيين، ومركز القدس للديمقراطية، وفي عدة مؤسسات ثقافية واجتماعية تختص بحقوق الإنسان، وهي عضوٌ في الهيئة العامة في رابطة الصحافيين العرب في فلسطين، كما شاركت في لجنة تقييم الأفلام في مهرجان المبدعين العرب (2004) عن فلسطين في جمهورية مصر العربية.

حصلت على جائزة أفضل رواية كتبت عن القدس العام (2008) في مهرجان "القدس زهرة المدائن" (اتحاد المثقفين المقدسيين)، وتمَّ تكريمها، أيضًا، من جامعة القدس، ومن ملتقى الأديبات المقدسيّات العام (2009).

الآثار الأدبية للكاتبة

1- الضلع المفقود، اتحاد الكتَّاب الفلسطينيين، القدس، (1992).

2- القافلة، دار الهدى في كفر قرع/ المثلث، (1992).

3- الأصابع الخفية ، دار الكاتب، القدس، (1992).

4- جناح ضاقت به السماء، دار الإبداع للنشر، أم الفحم، (1995).

5- برج اللقلق، (جزءان)، الهيئة العامة المصرية للكتَّاب، القاهرة، (2005).

مفهوم التراث

قبل الخوض في البحث عن توظيف التراث في روايات الكاتبة ديمة السمَّان، أرى ضرورة تعريف مفهوم التراث في اللغة العربية كما ورد في لسان العرب، حتى نصل إلى المفهوم الحديث للكلمة لغةً ومصطلحًا.

أ- المفهوم اللغوي للتّراث:

جاءت كلمة تراث من الجذر اللغوي (ورث)، وقد قُلبت الواو تاءً، وتعني كلمة (تراث)؛ ما يتركه الإنسان بعد موته من ماديات ومعنويات،

واتسع معناها المجازي إلى الأشياء الأخرى مثل المطر والحزن والمرض.[2] وهذا ما يسميه الناس اليوم "الميراث".

ووردت كلمة (تراث) في الشعر العربي بمفهومها المعنوي والمادي: فقد فاخر عمرو بن كلثوم بقومه، وتباهى بأنه ورث المجد والشّرف عنهم، حين قال في معلقته:[3]

ورثنا المجد قد علمت مَعَدٌّ نُطاعنُ دُونه حتى يبينا

وَرثتُ مهلهلاً والخيرَ منه زُهيراً نِعمَ ذُخرُ الذَّاخِرينا

وعَتَّاباً وكلثومًا جميعًا بهم نلنا تراث الأكرمينا

ورثناهُنَّ عن آباء صدقٍ ونورثها إذا متنا بنينا

ب- المفهوم الاصطلاحي:

التراث: "هو ما ترثه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، في تاريخ قومٍ، أو شعبٍ، أو أُمة، من مأثور التقاليد والعادات، ومن منجزات العقل والإبداع، في حقول العلم، والفكر، والأدب، والفن، على

---

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3 (طبعة جديدة محققة)، بيروت: دار صادر، 2004، مادة ورث.

[3] الحسين بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425/ 2004، ص 119- 120.

اختلاف الموضوعات والأغراض والأنواع والاتجاهات، فهو ذاكرة الشعوب، تستحضره الثقافة السائدة، وتجسده أنماط الفكر والسلوك، وتختزنه مناخات البيئة، وتؤصله مناهج التربية".([4]) وعليه، فإن التراث بمعناه العام؛ هو كل ما خلَّفه لنا السلف من أشياء مادية ومعنوية، انتقلت عبر الزمن من جيل إلى جيل.

أما التراث الذي يتعامل معه هذا البحث، فهو ذلك الجزء المعنوي من التراث، ويشمل على كلٍّ من التراث الديني، والتراث الأدبي، والتراث التاريخي، والتراث الشعبي أي (الإنساني)، وهذا التراث هو الذي يشكل ذاكرة الأمة ووعاءَها الحافظ.

([4]) ميشال عاصي وزميله، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1987، 1/ 371.

الفصل الأول

مضامين الروايات

الفصل الأول
مضامين الروايات

الرواية الأولى: الضلع المفقود

صدرت رواية الضلع المفقود عن دار العودة للدراسات والنشر في القدس العام (1992)، بالتعاون مع اتحاد الكتَّاب الفلسطينيين، وتقع الرواية في (284) صفحة من الحجم الكبير، وتدور أحداثها في البلدة القديمة من القدس الشريف، في حي الواد الذي تصفه في الصفحات الأولى من الرواية قائلة: "حي الواد منحدر قديم.. ينساب من جبال القدس العتيدة.. شكلته منذ آلاف السنين الطبيعة.. عُرف قبل أن يعرف الزمن له تاريخًا.."[ء]، ويمتد زمن الرواية بين أواخر حكم الأتراك مرورًا بأيام المجاعة و(السفر برلك) وانتهاءً بنكبة فلسطين العام ثمانية وأربعين، وتصف لنا حياة الأسرة الفلسطينية وطبيعة أعمالها وعاداتها وتقاليدها، وارتباطها في مدينتها ومسجدها الذي سرى إليه النبي محمد

[ء] ديمة السمان، الضلع المفقود، ط1، القدس: دار العودة للدراسات والنشر،1992، ص3.

صلى الله عليه وسلم وعرج منه إلى السموات العلى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأبطال روايتها (سليم العطار) الذي يعمل بالعطارة والطب الشعبي، وعائلته المقدسية، فسليم الذي لم تنجب له زوجته ولدًا يحظى بالصدفة بعروس أخرى من أصل هندي (عنبرة) شاءت الظروف أن يتعرف إليها بعد وفاة زوجها الهندي في موسم الحج، يتزوجها على الرغم من معارضة أهل الحي على زواجه، لكنه يرزق بولد منها (عيَّاش) بعد أن تقوم بمعالجة زوجها بالطريقة الهندية التي تعرفها تمام المعرفة، وهي بخلط أنواع من الأعشاب واستعمال سُم الحية ودم البومة والغراب؛ كدواء ما جعل أهل الحي ينظرون إليها بعين الحسد والغيرة، بل إنهم يصفونها بالساحرة، وتعرج الكاتبة على الصراع الذي كان دائرًا بين عائلتي الحسيني التي يمثلها في الرواية (سليم العطار) وعائلة النشاشيبي (التي يمثلها الحاج زهدي لقمان) ويعمل بالسقاية على زعامة الحي و(المقصود زعامة القدس)، وتبين الأساليب التي استعملها كل طرف للإيقاع بالطرف الآخر، لتصل حد القتل والحرق والنهب، فعنبرة تتعرض للحرق لأن عائلة (لقمان) المنافسة لعائلة سليم العطار تعتبر أن عنبرة زوجة سليم العطار هي التي قتلت زعيمها (الحاج زهدي لقمان) بوضع السُّم له بالدواء، فيكون هذا الحادث مِفْصلاً مهمًّا في الرواية، إذ

يستغل بعض المنتفعين هذا الأمر لصالحهم فيصبح (شداد) الذي كان راعيًا للأغنام قائدًا لشباب عائلة سليم العطار، فيسرق ويقتل وينهب ويحرق ما تطاله يداه من أملاك عائلة لقمان الأمر الذي يسبب الألم لسليم العطار، فيختفي في ظروف غامضة عن الساحة، ويرجح الجميع بأنه قُتل على أيدي عائلة لقمان، فيحتشد شباب عائلة العطار الذين يتزعمهم شداد فيقومون بحرق بيوت عائلة لقمان فيهرب من الحي الذين لا يمكن لهم الدفاع عن أنفسهم، وتقوم (أمينة) أخت سليم العطار بإرسال عياش إلى جده وأخواله في الهند خوفًا على سلامته، لتنتقل أحداث الرواية إلى الهند، فالمكان في الرواية له أهمية كبيرة إذ أن القدس غير الهند، فتصف لنا الكاتبة الريف الهندي، وتتغير الشخصيات في مساحة واسعة من زمن الرواية، ينشأ عيَّاش في رعاية جده وأخواله، فيتعلم عن الأعشاب وفوائدها ويصبح خبيرًا بالعلاج بالأعشاب، إلاَّ أنه يقع في حب ابنة (المهراج)، ما يسبب الخوف والقلق عند عائلة جده الذي يعمل مزارعًا هو وعائلته في أرض المهراجا، فالفروق الطبقية كبيرة في هذا البلد، والمهراجا صاحب السلطة لن يقبل بهذه العلاقة، فإذا علم بها فإنه سيقتل عياشًا، ويطرد الجد وعائلته من الأرض التي يعيشون عليها، فصار عياش بين نارين؛ إما (مريم) التي يحبها وتبادله هذا الحب، أو جده

واستقراره وأمنه، ويكتشف بأن ابنة خاله (عائشة) تحبه أيضًا، وتتمسك بحبها له بكل جوارحها حتى أنها تحيك ضد مريم المؤامرات، فيحاول جده إقناعه بصعوبة هذا الحب وأن ابنة المهراجا على الرغم من صدق مشاعرها إلا أنها ليست من ثوبه، فيقرر عيَّاش الرجوع إلى فلسطين، فيصل إلى ميناء حيفا على متن إحدى السفن، ثم ينتقل إلى بيته في القدس لتستقبله عمته أمينة بحفاوة بالغة، فتدعو أبناء العائلة شبابها ورجالها حتى ينصبوه زعيمًا على العائلة مكان والده، فيجابه بمعارضة كبيرة من شداد الذي تتضرر مصالحه بوجود هذا الشاب، فتنقسم العائلة بين مؤيد ومعارض لعيَّاش بتحريض من شداد الذي كون شلة من الزعران والبلطجية، ثم تكتشف العائلة جرائم شداد فتقصيه عن العائلة، وتنفيه خارج المدينة ليصبح عيَّاش الزعيم الوحيد للعائلة.

مرت الأيام، وعمَّ الرخاء، وزادت الأرزاق على أهل الحي في ظل زعامة عيَّاش، العطار الطبيب، إلى أن جاءت (عائشة) ابنة خال عياش قادمة من الهند، فقد حضرت لكي تكون بجانب حبيبها عياش فيتزوجها من باب رد الجميل، وتتوالى الأحداث، ويشارك عياش مع الشباب المجاهدين في مقاومة الزحف الصهيوني على فلسطين، فيصاب العديد منهم، وتتحد الجهود بين عياش وعائشة في تلك المقاومة، فعائشة تداوي

جرحى المقاومة، وعياش يتزعم الشباب في مواجهة العدو. ومرت الكاتبة، أيضًا، على ذكر الأحداث التاريخية المتعلقة بفلسطين مثل قرار التقسيم العام سبعة وأربعين من القرن الماضي، وانتهاء الانتداب البريطاني العام ثمانية وأربعين، ووصف سريع لسقوط المدن الفلسطينية تباعًا في يد الصهاينة، وتدفق اليهود على فلسطين، وتضيق الحالة بعد نكبة فلسطين فيغادر عيَّاش إلى الهند، وهناك يقابل حبيبته مريم التي تخبره بما صنعت بها عائشة وإنها حاولت قتلها بالخدعة والمكر، وأنها لم تنس عياشًا لحظة واحدة، فيتأثر بما قالته، ويتفقا على الاقتصاص من عائشة، إلا أنَّ ضميره لم يسمح له بذلك، فيرجو مريم طالبًا منها العفو والسماح، وفي النهاية يرجع إلى فلسطين ليكمل حياته مناضلاً يقاوم العدو إلى أن يتلقى رصاصة قاتلة في صدره فينضم إلى قافلة الشهداء.(٤)

---

(٤) ينظر: ديمة السمان، الضلع المفقود (الرواية).

صدرت رواية القافلة عن منشورات دار الهدى، كفر قرع، المثلث، في (238) صفحة من القطع الكبير، وتدور أحداث الرواية بين مدينة يافا الساحلية والصحراء الفلسطينية، ومدينة القدس والشتات الفلسطيني، فيمتد زمنها من بداية القرن الماضي إلى نهايته (مائة عام تقريبًا).

وتتحدث الرواية عن (حمدان) البدوي وعائلته، الذي ترك الصحراء ليعمل في مدينة يافا، ينقل البضائع من الميناء إلى بقية المدن الفلسطينية بوساطة وسيلة النقل الأساسية آنذاك وهي الجمل، لكنه يجابه من قبل ابنه الوحيد (صابر) الذي يشعر بأن مكانه الصحراء وليس البحر والميناء، يقول لأبيه بأنه لا يتحمل وجوده في يافا، لأن مكانه الصحراء التي تجري مخاطرها في دمه، أما (حمدان) فتقضُّ مضجعه الكوابيس والأحلام الرهيبة، فتحاول (ريحانة) زوجته مواساته والتخفيف عنه، إلى أن جاء رجلٌ بدويٌّ لزيارتهم ذات مساء، وكان اللقاء حميمًا بينهم، لتكتشف (ريحانة) بأن زوجها على صلة نسب وقرابة مع الزائر، ويفاجأ (حمدان) بأن ابنه (شاهر) الذي كان رضيعًا عندما ابتلعت الصحراء

زوجته وأبناءه ما يزال على قيد الحياة، فتكون البشرى له ولابنه (صابر) الذي صار له أخٌ يستند عليه.

قرر (حمدان) ارتياد الصحراء، فسُرَّ صابر لسماعه هذا الخبر، فسافر (صابر) إلى الحجاز يرأس قافلة الزيت، وسافر حمدان إلى المغرب، ولكنه أراد إحضار ابنه شاهر من بيت جده، أما (ريحانه) فتقنع ابنها (صابر) بالذهاب معه لزيارة أهلها في الحجاز، لكنها تبيت في سرها نية البقاء عند أهلها إذ إنها لا ترغب بالعيش مع ضرة.

تتعرض قافلة (صابر) إلى الانشقاق في صفوفها؛ بسبب الشرير (هُمام) الذي يحاول جاهدا النيل من خبرة (صابر) في قيادة القوافل، فيتيهُ عدد كبير من رجاله الذين انشقوا عنه في الصحراء، فيلجأ (صابر) ومن معه إلى أحد شيوخ الصحراء وهو (الشيخ صالح)، الذي يعتني بالقافلة عناية فائقة، ويلفت (صابر) نظر ابنة الشيخ (حسناء) التي تقع في حبه، لكن (هُمام) الحاقد حاول جاهدًا ضرب إسفين بين الشيخ صالح وصابر ونجح في ذلك إلى أبعد حدود في البداية، لدرجة أن (الشيخ صالح) حاول إنزال أشد عقوبة بصابر، على الرغم من توسّل حسناء، التي أدركت بذكائها كذب (هُمام).

وتدور أحداث متوالية في مضارب الشيخ صالح ومنها انتصار صابر على (عبدون) قاطع الطريق الذي يرهب قبيلة الشيخ صالح من وقت لآخر، فيصبح صديقًا لصابر يعاهده على الوفاء مدى الحياة، لدرجة أنه يجلب لصابر ألف ناقة يعطيها ثمنًا للكاهنة مقابل التخلي عن الدليل الذي يبرئ صابر من تهمته، وبعدها يتزوج صابر (حسناء).

يعود حمدان بصحبة فلذة كبده (شاهر)، الذي لم يتعد الثامنة من عمره، فيطير صابر بأخيه فرحًا، إلا أن صحة حمدان تسوء بسبب هجر زوجته له، فيتفق صابر وحسناء على تقديم المساعدة له، فيقنع صابر أباه بالسفر إلى مضارب زوجته في الحجاز، وتذهب حسناء بصحبتهما، وبطبيعة الحال يذهب (الشيخ صالح) على رأس جاهة كبيرة إلى أهل ريحانة، وتتضافر الجهود لإرجاع ريحانة إلى زوجها لتلتئم الأسرة من جديد، أما (شاهر)، فيزداد ارتباطه بالبحر فيبرع بالصيد حتى يصبح من كبار الصيَّادين، ويملك العديد من مراكب الصيد.

وتعرّج الكاتبة على مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الفلسطيني، تلك المرحلة التي أعقبت هزيمة الأتراك، وبداية الانتداب البريطاني على فلسطين، والثورات الفلسطينية التي نشبت في (1936)، والإضراب المفتوح، ومشاركة صابر وشاهر وحسناء وحمدان في الصراع، وتصف لنا

محاولة الثوار الحصول على الأسلحة للمقاومة، فكل يستخدم أدواته وخبراته لتحقيق ذلك، كما تصف لنا مقدار تعامل الضباط الإنجليز مع العصابات اليهودية. تطول المدة الزمنية، ويشارك في الثورة أبناء صابر حمدان، وسلطان، وعدنان، الذي يضيع في البحر مع الذين غادروا يافا لتلتقطه امرأة وتأخذه معها على إنه ابنها بعد أن فقد ذاكرته، وتسقط قرية دير ياسين، وتعيش البلاد نكبتها الأولى العام ثمانية وأربعين، وتمر الأحداث تباعًا لتصل إلى الاجتياح الإسرائيلي على لبنان (1982)، فيعود عدنان إلى أسرته بعد أن يتقابل مع أبناء عمه عدنان حمدان وعدنان سلطان، في المعتقل الإسرائيلي، فيجتمع شمل العائلة من جديد، إلا أن عدنان شاهر يقرر العودة إلى بيروت ليكون مع أمه التي ربته (سلمى)، لكنه يصل متأخرًا، فقد خطفتها يد المنون، فيقرر الالتحاق بجيش التحرير الفلسطيني بحسب رغبة أمه الأخيرة.[7]

[7] ينظر: ديمة السمان، القافلة.

الرواية الثالثة: الأصابع الخفية

صدرت رواية الأصابع الخفية عن منشورات دار الكاتب في القدس العام (1992)، وتقع الرواية التي صمم غلافها الفنان قاسم منصور في (201) صفحة من القطع الكبير.

تدور أحداث الرواية في أعالي البحار بعيدًا عن اليابسة، وتركز الرواية على قصة جوهرة ابتلعها البحر بعد أن عمل جد (عناد) الذي يحمل بطل روايتنا اسمه، فتذكر لنا الكاتبة بأن الحالة الاقتصادية السيئة جعلت (شيخ البحر) (عناد الجد) التحول إلى القرصنة، فجمع العديد من البحارة، وجعل منهم عصابة قراصنة يغيرون على السفن، فيقتلون ويغرقون وينهبون كل ما تطاله أيديهم. وفي هذه الرواية اختلاف عن سابقتيها بأن الخيال يطغى على السرد الروائي، فهي تحلق بنا فوق الصور الخيالية، وتغوص بنا في عمق المحيطات، موظفة الكثير من الأمثال الشعبية والألفاظ القرآنية والأبيات الشعرية، مستعينة بالخيال العلمي تارة، وطورًا بما تحفظه من قصص تراثية كألف ليلة وليلة التي تعتمد على الحكاية الأسطورية، فكان (الجد عناد) لا يترك قتيلاً أو جريحًا على الشواطئ، بل كان يدفن ضحاياه في البحر، إلى أن أغاروا صدفة على

سفينة تحمل علية القوم، فتعرض الأميرة على القراصنة جوهرة ثمينة جدًّا مقابل سلامتها ومن معها، إلا أن بعض القراصنة حرق وجه الأميرة بالمشعل، فما كان من (عناد) الجد إلا أن حاول إطفاء اللهب الذي شبَّ بالأميرة. ماتت الأميرة، وكانت سببًا لتحوله الجذري، فناصب القراصنة العداء.

أصبح عناد أسيرًا لكوابيسه؛ فهو يرى الأميرة المقتولة في أحلامه تحاول الاقتصاص منه، وتحمله سبب موتها وحرقها، وأخذ البحارة ينصبون له العداء، فيقوم بصنع كمين لهم، ثم يحرق السفينة بمن فيها من قراصنة وأموال وخصوصًا جوهرة الأميرة، فهو الذي صنع القراصنة، وهو الذي قضى عليهم مرة واحدة، فقتل حتى مساعده (عنبر) وهو يخاطبه قائلاً: "الجوهرة الآن في قاع البحر يا عنبر.. ليس من غواص يستطيع أن يستخرجها سواك أيها الخائن الغادر".[8]

اعتمدت الكاتبة في سردها الروائي هنا على الراوي (عناد الحفيد) الذي يستخدم صيغة المتكلم، فيحدثنا عن جده ومراحل حياته، وكيف يغرق في البحر باحثًا عن الجوهرة الثمينة، ثم يحدثنا عن أبيه أيضًا، الذي يبتلعه البحر وهو يبحث عن جوهرة جده، فيكون البحر قد سلب منه

---

[8] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 33.

أباه وجده، ولكنه في نهاية الأمر يقرر أن يغوص في البحر باحثًا عن الجوهرة التي صارت عقدة الأسرة جميعها، فيركب على مركبه الصغير الذي تحطمه الأمواج فيتشبث بقطعة خشبية منه، إلى أن تسحبه العاصفة، وتتقاذفه الأمواج وترمي به إلى جزيرة نائية لا يأتيها الأغراب بتاتًا، وهناك يحاول اللجوء إلى أحد البيوت، ولكن أصحابها لا يستقبلونه، فيذهب إلى بيت آخر، فيغلقون الباب في وجهه أيضًا، فيلجأ إلى مغارة قريبة من الشاطئ ويعيش فيها، ثم يتعرف إلى بعض شباب الجزيرة، ويصادق (جابر) الذي يعلمه فن القتال والصيد، ويساهم بخبرته كبحّار في إنقاذ أهل الجزيرة من القراصنة، فينال الحظوة عند ملك الجزيرة، ويقع بحب الأميرة وريثة العهد، لكن مجلس الجزيرة يرفضه كزوج لأميرتهم، فيتعرض إلى مؤامرات يحيكها حساده، ولكنه يكتشف أن الأميرة التي قتلها قراصنة جده هي والدة الأميرة حبيبته، وأن الجوهرة هي رمز للجزيرة، فيترك الجزيرة على قطعته الخشبية ويتجه نحو البحر إلى المكان الذي غرقت فيه سفينة القراصنة، فيغوص لإحضار الجوهرة التي كانت سببًا في غرق جده وأبيه من بعده، فغاص عميقًا أكثر من مرة إلى أن حصل على الجوهرة اللعينة، فلما حصل عليها انقلبت حالة الجو، وعمت الفوضى، وبدأت الزوابع والأعاصير، وانفجر بركان جبل الثلج لتغرق

الجزيرة بمن فيها، ولكنه عندما حصل على الجوهرة قرر تسليمها لأصحابها بعد أن هدأ كل شيء، إلا أنهم في الجزيرة اعتبروه سارقًا، فحكموا عليه بالإعدام، ولكن (جابر) صديقه جاء باكرًا وفتح له باب السجن ليذهب عائدًا إلى بلاده وقومه، فيبحر على قطعته الخشبية التي أصبحت جزءًا منه، ولم يهدأ باله ويسكن خوفه إلا عندما لاح له من بعيد منظر مدينة عكا وأضواء الوطن، ورياحه الزكية، فتستقبله والدته، وتخبر خاله وابنة خاله حمدة التي يتزوجها في نهاية الرواية...(٩).

الرواية الرابعة: جناح ضاقت به السماء

صدرت رواية جناح ضاقت به السماء عن مؤسسة إبداع للنشر والتوزيع في أم الفحم العام (1995)، حيث صمم غلافها حسني رضوان، وهي في (246) صفحة من القطع الكبير.

تجري أحداثها في زمن يمتد من بداية الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة سنة (1967) إلى نهاية الانتفاضة الفلسطينية الأولى العام (1993). أبطالها (عبّود) وهو شاب مطارد من قبل سلطات

(٩) ينظر: ديمة السمان، الأصابع الخفية.

الاحتلال الإسرائيلي يلجأ إلى الجبال المحيطة بمدينة القدس ليستقر في مغارة مهجورة هناك، ثم يتعرف صدفة إلى فتاة بدوية اسمها (نفوذ) تأتي إلى المغارة بحثًا عن شاتها (المبروكة)، فتنشأ بينهما علاقة حب قوية، فصارت تتردد على المغارة بالسر عن أهلها، فقد كان والدها زعيم القبيلة (الشيخ فلاح)، الذي لم يرزق غيرها من الأبناء، وكان لها ابن عم يطمع في الزواج منها، إلا إنها لم تكن ترغب به لسوء أخلاقه وجهله وسفاهته، فقد وقعت في حب عبّود، ابن المدينة الثائر الشهم المقدام، وأصبح شغلها الشاغل، فوقفت في وجه الرياح والزوابع، كما وقفت في وجه جنود الاحتلال، لتحمي عبود، بعد أن قام بعملية فدائية قتل فيها العديد من جنودهم. كما تصور لنا الكاتبة حياة البداوة، والتحام الشعب الفلسطيني واتحاده بوجه المحتل، كما تعرّفنا إلى مظهر من مظاهر انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى ومقاومته للاحتلال الصهيوني، لكن عبود المطارد يصل إلى كنز كان مخبأً داخل المغارة في زاوية يكتشفها بالصدفة عندما اختبأ من جنود الاحتلال حين قدومهم للبحث عن المطاردين في المغارة، فيستخرج الكنز المكون من عدد كبير من الليرات الذهبية، ويقرر النزول من الجبل إلى بيته بعد أن خبأ الذهب واطمأن عليه تمامًا، ويذهب إلى بيته بحذر شديد لأنه كان يظن بأن زملاءه في النضال قد اعترفوا للمحققين

في المعتقل بكل شيء، إلا أنه يكتشف أن زملاءه لم يعترفوا عنه بشيء من خلال الطلب من والده الذهاب إلى السجن لزيارتهما وجس نبضهما، لكن والده ينقل له تحياتهما ويطمئنه بأن لا غبار عليه، عندها يطير فرحًا، ويقرر الزواج من نفوذ، إلا أنه يتذكر (حمدان) ابن عم نفوذ الشرير، لكن والده يجد له الحل، فيطلب من عبود إحضار عشرين ليرة ذهبية يأخذها معه إلى بيت الشيخ فلاح لخطبة كريمته لابنه، فيقول له والدها بأن ابن عمها حمدان قد تقدم لخطبتها، فيتوجه الأب إلى حمدان ويساومه على ابنة عمه بالذهب، فيتنازل حمدان عن ابنة عمه لعبود مقابل الذهب، فيتزوج الحبيبان، وينجبان مهيوب الذي يعتقل، فتقف الزوجة نفوذ موقفا بطوليًّا صامدًا، بعكس عبود، الذي كان يومًا ما مطاردًا، وهذا يشكل تناقضًا في شخصيته، أما نفوذ فهي قوية متماسكة شديدة البأس قريبة من شخصية المرأة في جميع روايات الكاتبة التي تصور المرأة بأنها الأقوى، والأذكى، كيف لا وهي- أي الكاتبة- تعبر من خلال شخصياتها الروائية عن ذاتها أنها هي المرأة القائدة المتمرسة بأمور المقاومة والنضال.

يفتح عبود ونفوذ مصنعًا للنسيج والخياطة وتتطور حياتهم المعيشية، ويوفرون فرصًا عديدة للعمل. ومن الجدير بالذكر أن الكاتبة تعرج هنا وهناك على مراحل تاريخية مرت على فلسطين وقضيتها، فتذكر على لسان

شخصياتها هزيمة العام سبعة وستين، ومعركة القسطل، وتذكر لنا كيف كان الناس يستقبلون بيانات الانتفاضة الفلسطينية، وكيف أن الأم تحث أبناءها على النضال، وتذكر التاريخ ليكون عبرة للناس، فتذكر صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس، كما نلاحظ أن الكاتبة في هذه الرواية أقل توظيفًا للمثل الشعبي من رواياتها الأخرى، لكنها لا تفتأ توظف اللفظ الديني من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وتذكر الزغاريد التي شاعت في الانتفاضة عندما كان أحد المعتقلين يخرج من السجن، فقد زغردت الجدة فاطمة فرحًا بالإفراج عن حفيدها (مهيوب) من المعتقل: "علا صوتها بالزغاريد..

آويها أجا مهيوب/ وهلت بشاير الخير

آويها طلع من السجن/ والرجال التفت حواليه

آويها ربنا يحميه/ ويجعل النصر على إيديه"[10]

أو عندما كانت الأم تستقبل جثمان ابنها الشهيد بالزغاريد. ثم تقوم الكاتبة بربط الخلف بالسلف عن طريق إعطاء ابنها (فلاح) عباءة جده (الشيخ فلاح) ليتسلم زعامة القبيلة بدلاً من ابن عمها حمدان الذي لا يرعى قرابة ولا يهتم بالوطن.

---

(10) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 222.

وفي نهاية الرواية يقبض على مهيوب بتهمة قذف الجنود بزجاجة حارقة، وهي إحدى الوسائل القتالية خلال الانتفاضة، ثمَّ يقبض على الابنة فاطمة بتهمة المشاركة في المظاهرات المندِّدة بالاحتلال، وبعدها يقبض على الأم نفوذ، والتي عندما جنّ جنونها لاعتقال ابنتها، حيث هجمت على أحد الجنود تضربه وتمزق وجهه بأظافرها.

تنتهي الرواية بنهاية مأساوية لا تختلف كثيرًا عن الواقع الفلسطيني، فالأب (عبود) يسجن مدى الحياة، ويستشهد الابن (مهيوب)، فيعم البؤس ويخيم الحزن على العائلة.[11]

الرواية الخامسة: برج اللقلق

صدرت رواية برج اللقلق عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة العام (2005)، وتقع الرواية التي أخرجها فنيًّا عمر حماد علي في جزئين: الجزء الأول (206) صفحات من الحجم الكبير، والثاني (146) صفحة من الحجم نفسه.

---

[11] ينظر: ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء.

تدور أحداث الرواية في القدس القديمة، وأبطالها من أسرة مقدسية واحدة ، والرواية تحمل اسم "برج اللقلق" أحد المعالم التاريخية المشهورة في مدينة القدس وتحديدًا في حارة باب حطة في القدس القديمة، ويمتد زمن الرواية قرنًا كاملاً تقريبًا، أي من أواخر العهد العثماني حتى نهاية القرن العشرين.

الكاتبة متأثرة بما سمعته من والديها، وأجدادها وشيوخ مدينتها عن تفاصيل التفاصيل؛ عن الحياة التي عايشوها، وحتى التي نقلوها بالتواتر عن آبائهم وأمهاتهم فيما يتعلق بالمدينة المقدسة، كيف كانت، وكيف أصبحت، عدا عن توظيفها لكل ما قرأته عن تاريخ المدينة المقدسة، وما كتبه عنها الرحّالون الذين زاروها فهي ابنة المدينة التي ولدت وترعرعت فيها؛ وقد اختارت الكاتبة أن يكون المكان الرئيس لأحداث روايتها "برج اللقلق" الذي يحمل اسم الرواية، وهو مكان تاريخي تصفه الكاتبة في السطر الأول من الرواية قائلة: "هناك في الطرف الشرقي الشمالي لسور مدينة القدس العظيم .. داخل عمق البلدة القديمة يقع بيت آل عبد الجبار.. في منطقة اسمها برج اللقلق من حارة باب حطة؛ وبرج اللقلق منطقة مرتفعة تُشرف على المسجد الأقصى المبارك، ويشرف على

جبال الطور والمشهد، وعلى معالم المدينة الدينية والتاريخية، من مساجد وأديرة وكنائس ومدارس ومتاحف."

وقد استهلت الروائية روايتها بوصف دقيق للمكان، ثم شرعت تتحدث عن الأوضاع الاقتصادية البائسة في أواخر العهد العثماني التي عايشتها الأسرة التي يتناوب أبناؤها البطولة الروائية جيلاً بعد جيل، إنها أسرة (آل عبد الجبار) التي دفنت الجد الأول للأسرة في باحة البيت قرب شجرة (بطمة) عمرها مئات السنين، فكانت سيرته منارة يهتدي بها أبناء العائلة، وكان قبره مزارًا يؤمّه أهل الحي للتبرك والدعاء، ويعيش أحفاده على أمجاده ويسيرون على هديه، ويستمدون منه العزيمة والإرادة الصلبة.

ففي أواخر العهد العثماني، تم تدمير الاقتصاد، وازدادت الضرائب، وازداد نهب الأتراك لخيرات البلاد، وازداد الظلم والمظالم، ومع ذلك فإن أسرة عبد الجبار التي توارثت السيادة الاجتماعية لم تستسلم، فكان رأسها دائم البحث عن مصدر رزق جديد، فبعد أن أغلق حانوته لضيق ذات اليد عمل "عتالاً " في باب الخليل، وخاض صراعات مريرة مع العتالين الآخرين الذين رأوا فيه منافسًا عنيدًا لمهنتهم ومصدر رزقهم، وبعد صراعات أدخلته السجن، عمل حطابًا، يحتطب من البراري، ليكون رائدًا بذلك العمل، حتى أن أصدقاءه قد عدّوه أخًا للجن؛ لأن ما قام به

لا يمكن لغيره أن يقوم به إلا إذا كان قد شرب من حليب جنية، فيخزن حطبه في مغارة الهيدمية؛ وهي كهف لا يزال قائمًا تحت مقبرة باب الساهرة ما بين باب العامود وباب الساهرة، فيكتشف عددًا من اللصوص الذين يخبئون مسروقاتهم في المقبرة، فيصادقهم بعد أن يواجههم بشجاعة فائقة.

وهنا توغل الكاتبة في وصف الأحوال المعيشية للمقدسيين، كما تصف المدينة نفسها، حيث كانت تغلق أبواب القدس القديمة من ساعات الغروب وحتى شروق الشمس، لحماية المدينة من اللصوص والغزاة، ومن الضباع المفترسة، حيث كانت الضباع تصل إليها، وكانت أزقة المدينة القديمة تضاء بمصابيح الزيت التي توضع على مفارق الأزقة.

ثم تتحدث عن مقاومة المقدسيين بشكل خاص والشعب الفلسطيني بشكل عام للأتراك الذين طغوا وتجبروا وعاثوا في الأرض فسادًا، إلى أن جاء الانتداب البريطاني، حيث انفرجت الأوضاع الاقتصادية، وانتهى عصر المجاعة الذي صاحب أواخر العهد العثماني، ليبدأ عهد الاستعمار البغيض الذي كانت ذروته فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين تمهيدًا

لإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين، ما دعا الفلسطينيين إلى المقاومة، وكان لأسرة عبد الجبار دورًا رئيسًا في المقاومة.

وتحصل النكبة الأولى في العام (1948)، حيث هُزمت الجيوش العربية التي بنى الفلسطينيون عليها آمالاً كبيرة، وتعرج الكاتبة بعد ذلك على ثورة (23 يوليو 1952) في مصر والتي قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والتي توالت المؤامرات عليه لإضعافه وإسقاط حكمه، فكان العدوان الثلاثي على مصر في (29 تشرين أول 1956)، لتتوالى الأحداث إلى أن تصل إلى حرب حزيران (1967)، والتي احتلت فيها (إسرائيل) ما تبقى من فلسطين التاريخية، إضافة إلى صحراء سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية.

وتتواصل المقاومة ويسقط الشهداء من آل عبد الجبار ومن غيرهم، ثم تأتي حرب تشرين العام (1973)، ويليها في العام (1977) زيارة الرئيس المصري محمد أنور السادات لإسرائيل واتفاقيات كامب ديفيد، إلى أن انفجرت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في كانون أول (1987)، ويشارك فيها الشعب الفلسطيني بمختلف أعمار أبنائه بدءًا من الأطفال ومرورًا بالشباب وانتهاءً بالشيوخ.

وتطرح الكاتبة في الرواية قضية العمالة للاحتلال من خلال (ليث) حفيد عبد الجبار من ابنته (نفيسة) الذي سقط في براثن العمالة من خلال الجنس والمخدرات، فباع العقارات للمحتلين، ووشى بالمقاومين، ويُقتل في أواخر الرواية على يد والدته بعد أن عاد إلى رشده دون علم والدته، واستعد للقيام بعملية استشهادية يكفِّر بها عن ماضيه الأسود. وتنتهي الرواية بأن تفجر والدته (نفيسة الحفيدة) نفسها بالحزام الذي كان معدًّا كي يفجر به (ليث) نفسه، وهي إشارة إلى أسلوب نضالي من الأساليب التي اتبعتها المقاومة خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى.[12].

---

[12] ينظر: ديمة السمان، برج اللقلق (1–2).

الفصل الثاني

توظيف التراث الديني

الفصل الثاني
توظيف التراث الديني

لجأت الكاتبة إلى اقتباس النص القرآني، بوصفه خطابًا فنيًّا، يتمتع بخصوصية فنية، أو موضوعية تجعله قابلاً، أيضًا، للاستيعاب، والامتصاص، والتماس مع نصوص أخرى لاحقة، لإيجاد علاقة حوارية بينه وبين نص جديد، وليكون للنص الجديد موقف محدد إزاء هذا التماس، ويلمس القارئ من روايات ديمة السمان، تماسًّا مباشرًا وغير مباشر مع النص القرآني، كما نجدها أحيانا تقتبس من التراث الديني النصراني، وحتى اليهودي أيضًا.

توظيف التراث الديني الإسلامي

أولاً: الآيات القرآنية: من ضمن التوظيف الديني قول الكاتبة: "لقد توكلت على الله وحزمت أمري.. فلا تكونوا مناعين للخير.."[13].

[13] ديمة السمان، الضلع المفقود، 10؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 1/ 111؛ كما تكرر في برج اللقلق، 2/ 52.

وهنا نرى تأثرها الواضح بالقرآن الكريم، وجاء التأثر باللفظ المستخدم، والمعنى المقصود أيضًا، أمّا تأثرها بالمعنى، فقد بدا واضحًا من المقصود في هذا النص، وهو أن الشخصية تريد إقناع محاوريها بأنها على حق، وأن قرارها جاء منطقيًّا، ومدعمًا باللفظ القرآني، الذي من شأنه جعل الطرف الآخر يرضخ لرغباتها، كما أنها تعبر بذلك عن استنكار الناس لفعل كبيرهم (سليم العطار)، عندما أقدم على زواجه من امرأة غريبة، لا أهل لها ولا عزوة، فالكاتبة تريد تبيان ذلك الموقف الرافض؛ بأنه موقف أناني يقف حاجزًا أمام فعل الخير، وقد ورد هذا اللفظ في الآيتين الكريمتين: ﴿مَنَّاع لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾[14]، و﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[15].

كما استخدمت ألفاظًا من النص القرآني عندما تقول: "كانت تنظر إليهم باستغراب تستنكر جحودهم.. فتحدث نفسها إنهم ما زالوا بخير أفلا يشكرون"[16].

---

(14) ق، 50/ 25

(15) القلم، 68/ 12

(16) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 20.

تساءلت الكاتبة بهذا السؤال الاستنكاري؛ للتعبير عن استغرابها وسخطها من ردة الفعل الناكرة للجميل تجاه ما قدمته لهم (عنبرة)، زوجة (سليم العطار) زعيم الحي، التي لم تأل جهدًا في مساعدة الناس في وقت المجاعة آنذاك، وباستخدامها اللفظ القرآني هنا كانت موفقة، وخدمت النص الروائي، وساعدت على إيصال الفكرة بشكل جلي، ورد هذا اللفظ في الآيتين الكريمتين: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[17]، و﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[18]

وتلجأ إلى استخدام كلمات لها إيقاعٌ قرآنيٌّ بقولها: "والله لو أُوتيتُ السحر لقلبتك حمارًا يحمل الأرزاق من بيتك إلى كل بيت جائع في حينا"[19]. نجد تلك الألفاظ في قول رب العالمين تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[20].

---

[17] يس، 36/ 35.

[18] يس، 36/ 73.

[19] ديمة السمان، م. س.، ص 28.

[20] الجمعة، 62/ 5.

أرادت الكاتبة من الاستعانة باللفظ القرآني؛ أن تبين مدى جهل الناس في تلك الأوقات بالعلم والطب بشكل خاص، بحيث اتهموا (عنبرة) بالسحر والشعوذة.

نجحت الكاتبة في دمج تلك الألفاظ ضمن نسيجها الفني بطريقة جعلتنا لا نشعر بهذا التوظيف بسهولة.

ومن ضمن التوظيف الديني، قولها: "فوالله لولا إرادة الله أدركتك لكنت الآن تقبع في غياهب الجبّ كما فعل أولاد يعقوب بأخيهم يوسف."[21] وهذا يتوافق في معناه ولفظه بما جاء في سورة يوسف- عليه السلام-: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[22].

عبّرت الكاتبة عن فكرتها من خلال حوار شخصياتها باستخدام معلوماتها النابعة من قصص القرآن الكريم، فجاء تعبيرها في مكانه، وخدم النص السردي، وأعطاه زخمًا وقوة.

---

[21] ديمة السمان، الضلع المفقود، 31؛ وقد تكرر هذا التوظيف بوقع الحافر على الحافر في رواية الأصابع الخفية، 25.

[22] يوسف، 12/ 10

كما نلاحظ الاقتباس من القرآن في قولها: "يعيث بها فسادًا"[23]. ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[24]

لكنها هنا لو استعملت كلمة يسعون كما جاءت في القرآن الكريم لكان وقعها أجمل، واتسع المعنى لتصل به إلى حدود مراميها.

ودعّمت النص بكلمات من القرآن الكريم، عندما قالت: "والغد في علم الغيب.. ولا يعلم الغيب إلا الله"[25]. نجد معنى ذلك في الآية الكريمة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[26].

جاء هذا النص على لسان (عنبرة) وهي تحاور زوجها (سليم العطار) لتثبت له أن قومه غير جديرين بالثقة، وأنها لا تهتم بشيء في الوقت الحاضر إلا بابنها (عيّاش)، لأنها على ما رأت من قوم زوجها أصبحت لا

---

[23] ديمة السمان، م. س.، ص 31.

[24] المائدة، 5/ 64.

[25] ديمة السمان، م. س.، ص 34.

[26] الأنعام، 6/ 59.

تثق بهم، ولا تدري ما يخبئه لها الزمن، وقد جاء توظيف الكاتبة توظيفًا موفقًا أثرى النص.

وظفت الكاتبة ألفاظًا قرآنية لدعم فكرتها في حوارات شخصية الرواية المتعصبة الشريرة (شداد)، لتبيان مدى حقده وصلابته وجبروته من (آل لقمان) عندما أجاب في حواره مع (سليم العطار)، الذي كان يحاول تهدئة الموقف قائلاً له: "العقل والعدل والقانون يقول: العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.."[27].

فالكاتبة بذلك، تعرفنا إلى طباع الشخصية، وصفاتها النارية الشريرة، وعدم سماحتها، فكان توظيفها ملائماً لواقع الحال. ورد هذا المعنى في الآية الكريمة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[28]

---

[27] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص41؛ تكرر في الضلع المفقود، ص288؛ وتكرر في جناح ضاقت به السماء، ص81.

[28] المائدة، 5/ 45.

نلمس بسهولة ما ترمي إليه الكاتبة، من أن بعض الناس يستشهدون في كلامهم بآيات من القرآن الكريم لتأثير وقعها على الناس، وهم بذلك يستغلون هذا التأثير لبثّ سمومهم القاتلة خلال كلامهم، فتنطلي أساليبهم الخبيثة على الناس الذين يتجرعون السم الممزوج بكلامهم المعسول، فيمررون ما يريدون من أفكار تؤدي إلى الفتن، لتحقيق أهدافهم الفردية الضيقة.

ومن الاقتباس القرآني أيضا قولها: "عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم. صدق الله العظيم"[29]. وهي تريد بذلك أن تقول على الإنسان أن يصبر ويتأنى في حكمه، وفي ردات فعله على مشكلاته ومآسيه الخاصة. فالآية القرآنية الكريمة تحقق بمعانيها ما أرادته الكاتبة على الرغم من أنها وضعتها صريحةً في متن النص الروائي: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[30].

تريد الكاتبة أن تصور الحالة النفسية المتأزمة عند (عياش)، وأن الجد يرغب في طمأنته ورفع معنوياته، بأن أحضر له خبرًا من شأنه أن يشفيه

---

[29] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 65.

[30] البقرة، 2/ 216.

من حالته النفسية، وأن يخرجه مما هو فيه، وأن يبعد الخوف والألم نتيجة بعده ألقسري عن محبوبته (مريم)، فجاء هذا التوظيف مناسبًا وملائمًا لجو النص. وعندما قالت: "إن لك قلبًا طيبًا وخلقًا عظيمًا"[31]، فهذا اقتباس واضح لألفاظ القرآن الكريم، أرادت به الكاتبة إثراء النص، وتدعيم الفكرة بأن (مريم) فتاة خلوقة على قدر كبير من الاحترام. نجد هذا المعنى في الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[32].

استخدمت الكاتبة كثيرًا من الألفاظ القرآنية التي أثرت النص الروائي، وأعطته قوة ومساحة كبيرة من المرامي والأهداف، فقد قالت على لسان الجد مخاطبًا (عائشة): "لماذا تحرقين نفسك بنار وقودها.."[33]. نجد هذا اللفظ في الآيات الكريمة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[34]، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[35].

---

[31] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 71.

[32] القلم، 68/ 4.

[33] ديمة السمان، م. س.، ص 83.

[34] البقرة، 2/ 24.

[35] التحريم، 66/ 6.

تبين الكاتبة بأن الغَيْرة من شأنها أن تؤجج النار في قلب من يحملها، خصوصًا وأن (عائشة) هنا تحب (عياش) من طرف واحد، وهو بدوره يحب (مريم) ابنة (المهراجا)، ولذلك فإن غيرتها على عياش لها آثار مدمرة على الجميع وخصوصًا على نفسها.

نجحت الكاتبة في وصف الحالة ونتائجها باستخدام تلك الألفاظ المستقاة من القرآن الكريم.

ويتكرر التوظيف الديني عندما قالت: "فتحملينا ما لا طاقة لنا به.."[36]. ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[37]

أرادت أن تبين لنا مدى حالة الخوف التي كانت سائدة بين أفراد عائلة جد عياش من العلاقة الغرامية بين (مريم) ابنة (المهراجا) و(عيّاش)، معتبرين أن تلك العلاقة من شأنها أن تعود بالخطر على عائلة

---

[36] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 84، 222؛ تكرر في برج اللقل، 2/ 63.

[37] البقرة، 2/ 286.

الجد التي كانت عائلة فقيرة، بينما (المهراجا) هو صاحب النفوذ الآمر الناهي في المنطقة، الذي يستطيع بكلمة منه تشريدهم من بيوتهم، وأراضيهم، والتنكيل بهم، إذا عرف عن تلك العلاقة الغرامية، وأن استخدام الكاتبة للفظ القرآني المستمد من الآية المذكورة ساعد كثيرًا في إيصال الفكرة وخدم النص الروائي بشكل كبير.

ويستمر التوظيف الديني في نصها الروائي، ولكن على لسان (شداد) هذه المرة، وهي الشخصية الشريرة في الرواية، الذي يهدف من استخدامه إقناع مستمعيه بوجهة نظره، ولبثّ الحماس في نفوسهم، عندما قال: "وتركوا الجهاد وباعوا الدنيا بالآخرة.."[38].

ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[39].

إلا أن شدادًا يرمي إلى مصلحته الخاصة، وليس الهدف من استخدام اللفظ القرآني خدمة مجتمعه المسلم، وهنا أقف على فكرة تستوطن خلف النص وهي رؤية الكاتبة لبعض القيادات السياسية التي تستخدم ألفاظًا

---

[38] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 109.

[39] البقرة، 2/ 86.

من القرآن الكريم كجسر لتمرير أهداف سياسية لا تهدف خدمة مجتمعاتها بأي حال من الأحوال.

ومن ضمن التوظيف، أيضًا، قولها: "قال تعالى: القاتل يقتل.. صدق الله العظيم"[40].

لكن الكاتبة أخطأت عندما اعتبرت هذه المقولة قرآنًا، وما وصفته بكلام الله ما هو إلا لفظٌ عاديٌّ ليس إلاَّ.

وصفت موضوعات الحوار والألفاظ التي كان يتستر خلفها أصحاب المصالح الشخصية الضيقة في ذلك الوقت، وكيف تتغذى الفتنة وتتفشى بين أبناء المجتمع، وكيف يستغلون ذكر الشريعة وقوانينها لإقناع الناس البسطاء بأفكارهم الهدامة، فـ(شداد) الذي على لسانه قالت: "نحن طبقنا الشريعة"[41]، ما هو إلا عنصرٌ هدامٌ في المجتمع لا يهتم إلا بمصلحته، ومنفعته الشخصية، وهو بعيد كل البعد عن المصلحة العامة، فنراه هنا يحتج بألفاظ القرآن الكريم متسترًا خلفها بقناع من يسهر على مصلحة الجماعة، والكاتبة تُعبِّر من خلال هذا الحوار عن وجهة نظرها الشخصية بما كان يجري في المجتمع المقدسي آنذاك،

---

[40] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 112.

[41] ديمة السمان، م. ن.، ص 112.

ونجحت في ذلك وجعلتنا نغوص معها في غياهب ذلك الزمان بكل تفاصيله، بل إنها نقلتنا، أيضًا، إلى المكان ذاته في حارات وأزقة البلدة القديمة من القدس الشريف.

يتكرر اقتباسها من القرآن في قولها: " لقد بلغني الكبر.."[42]. ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[43].

في هذا التوظيف أرادت الكاتبة إثبات الحالة النفسية والاجتماعية لإحدى شخصياتها الرئيسة، وهو (سليم العطار) الذي فقد زوجته ولم يكن له ولدٌ، ما أثّر على نفسيته، خصوصًا وأنه ثريّ ذو مكانة رفيعة في القدس، ولا يوجد من يرث مكانته وأمواله، ولذلك كان القلق باديًا عليه، فحققت الكاتبة مراميها بهذا التوظيف، وقد تداخل مع النسيج الروائي بشكل متناسق.

ويظهر التوظيف الديني، أيضًا، عندما يُحدّث (عيّاش) نفسه قائلاً: "وكأنه ليس للبيت صاحب ولا للبيوت حرمة.."[44]. استمدت هذا

---

[42] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 118.

[43] آل عمران، 3/ 40.

[44] ديمة السمان، م. س.، ص 121.

المعنى من الآية الكريمة: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[45]، حيث أرادت الكاتبة أن تبين لنا بأن (عياش) قد دخل قصر (المهراجا) خلسة بصحبة محبوبته (مريم)، وأنه ليس من خُلق المسلمين، وكان عليه مراعاة حرمة البيت والدخول من الباب، في وضح النهار وبعلم صاحب البيت، وقد كان لهذه الإشارة رسالة تربوية.

وعندما قالت: "كنتم كثرة فأصبحتم قلة بعد أن حصدت الحرب رجالكم.. كنتم أغنياء فأصبحتم فقراء، بعد أن أخذت الحرب أموالكم.. كنتم كبارًا فأصبحتم صغارًا نتيجة سوء أعمالكم.. لقد أغواكم الشيطان يا آل العطار.."[46]، فإن ذلك يذكرني بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[47].

نجدها تستخدم الطباق الإيجابي في وصف الوضع الاجتماعي، والسياسي، الذي آلت إليه الأمور، عندما رجع عياش من الهند، فالحالة

---

[45] البقرة، 2/ 189.

[46] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 128.

[47] التوبة، 9/ 25.

كانت مُرهقة جدًّا للناس؛ صراعات مستمرة بين العائلات المقدسية، وقتل، ونهب، وظلم الناس بعضهم بعضًا، حيث يخاطبهم (عياش) ساخطًا على ما صنعته أيديهم، التي صارت ملوثة بالدماء، فجاء توظيف اللفظ القرآني لربط الصورة بحقيقة فيها دروس وعبر، بين الآية القرآنية المذكورة، والتي نزلت بمناسبة هزيمة المسلمين في (غزوة حنين) حين أعجبوا بكثرتهم، وعائلته التي اغترّت بكثرة رجالها لتستبد في الحي كما يحلو لها، فأثرت الكاتبة نصها على الرغم من أسلوبها المباشر.

وعندما أرادت أن تبين الحالة التي وصل إليها المجتمع من الجهل والظلم؛ بقولها: "بين الخبيث والطيب"([48])، من خلال الحوار الذي جاء على لسان (أمينة) تلك المرأة القوية صاحبة الرأي والمشورة، وهي تحاول إقناع (عائشة) بالصبر والتحمل لأن الأوان قد آن لكي يميز الناس الخبيث من الطيب، وكان توظيفها موفقًا، وورد هذا المعنى في الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي

([48]) ديمة السمان، م. س.، ص 191.

كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(49).

أما عندما حاولت إقناع القارئ بأن الإنسان نفسه هو الذي يتغير وهو المسؤول بذلك عن تبعات تصرفاته، فقد اقتبست من القرآن قائلة: "إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(50)، وجاء الاقتباس مناسبًا لموضوع الحوار الذي كان بين عائشة، التي تغار على زوجها غيرة كبيرة، والزوج المتعالي على حب زوجته، حيث جاء التوظيف متماشيًا مع قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾(51).

ويتكرر الاقتباس القرآني بشكل مباشر وصريح عندما تقول على لسان (الجد) في محاولة منه لتهدئة حفيدته (عائشة) قائلاً لها: "الله يعلم الظاهر وما يخفى"(52).

---

(49) الأعراف، 7/ 157

(50) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 217.

(51) الرعد، 13/ 11.

(52) ديمة السمان، م. س.، ص 225.

وقد ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[53].

اتكأت الكاتبة على هذا الاقتباس على لسان الجد الحكيم، لتطلعنا على الحالة البائسة التي وصلت إليها (عائشة) مع زوجها، فكان التوظيف مفيدًا.

وعلى لسان (مريم) محبوبة (عيّاش) وفي حوار عائشة مع نفسها بعد أن تركها عيّاش ليغيب عنها أسبوعًا بكامله قالت: "يا صبر أيوب"[54]، وهذا اللفظ الذي يستعمل كمثل، هو في الحقيقة مستنبط من قصة النبي أيوب- عليه السلام- النبي الذي تحمّل صنوف الآلام، وصبر، ولم يشكُ مصابه، وورد ذكره في الآيات الآتية:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[55].

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[56].

---

[53] الأعلى، 87/ 7.

[54] ديمة السمان، م. س.، ص 235.

[55] ص، 38/ 41.

[56] ص، 38/ 44.

استفاد النص من هذا التوظيف، إذ ساعد الشخصية الروائية (مريم) بالتعبير عن نفسها بأنها لا تستطيع البعد عن حبيبها (عيَّاش) من جهة، ولم تكن تتحمل تأجيل انتقامها من غريمتها (عائشة) من جهة أُخرى، فمريم بحاجة إلى الصبر، حتى يحين الوقت المناسب للانتقام. وقد استحسنتُ هذا التوظيف الذي عبرت به الكاتبة عن فكرتها في تصوير حالة الشخصية في الرواية فجاء في خدمة النص بشكل جيد. لكنها عندما تستخدم لفظة أبتِ بقصد التحبب وإظهار احترام الابن لأبيه بقولها: "يا أبتِ.."[57]، فإنها استطاعت أن توصل رسالة جميلة فحواها طاعة واحترام الأبناء لآبائهم، مثلما قال يوسف لأبيه كما في الآية الكريمة: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[58].

إن هذا التوظيف بما فيه من بلاغة قد خدم النص الروائي ويسَّر المعنى.

---

[57] ديمة السمان، القافلة، ص 9.

[58] يوسف، 12/ 4، 100؛ مريم، 19/ 42،43،44،45؛ القصص، 28/ 26؛ الصافات، 37/ 102.

كما وظفت قصة الطوفان وهي من قصص القرآن الكريم بقولها: "قالوا يا أبي إنها كانت خضراء تملؤها الجنات.. نسي أهلها الله فأتاهم بالطوفان، فأصبحت بحارًا أهلكت أصحابها، وأتى الله بخلق جديد"(59)، فاستمدت هذا المعنى من قصص الأمم السابقة التي وردت في القرآن الكريم:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾(60).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾(61).

استخدمت هذا التوظيف في نسج سردها الروائي، الذي أرادت به تفسير الزحف الصحراوي وحلول الجفاف مكان الأمطار، وذلك نتيجة غضب الله على الذين يتنكرون للخالق على نعمه، وقد وُفقت الكاتبة بهذا الاستخدام الذي ساعد على توفير عنصر التشويق.

---

(59) ديمة السمان، م. س.، ص 9.

(60) الأعراف، 7/ 133.

(61) العنكبوت، 29/ 14.

تستشهد الكاتبة بألفاظ قرآنية لإثبات وجهة نظرها عندما تقول: "ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.."([62])، وقد اقتبست هذا اللفظ من الآية الكريمة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾([63]).

فهي تصور الحالة العامة لجو الرواية، بأن للوحش حقًّا في معاقبة من تطاول بالاعتداء على أبنائه، وإنها أرادت لفت نظرنا إلى ما وصلت إليه الأمور في هذه الدنيا، بأن القوي يأكل الضعيف، والغني يسيطر على الفقير، وقد أجادت بهذا الاستشهاد، وأوجدت الحجة المفحمة لتثبت فكرتها.

وعندما تقول على لسان (همام) ذلك الشرير الكاذب موجهًا كلامه إلى (صابر) الرجل الصادق الشجاع: "قال تعالى.. ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.."([64])، فإنها تنقل لنا واقع المجتمع الذي يحاول فيه المتسلقون والمدَّعون التطاول على شرفاء الناس لدرجة أنهم يتناولون في أحاديثهم

([62]) ديمة السمان، القافلة، ص 20.

([63]) البقرة،2/ 194.

([64]) ديمة السمان، م. س.، ص 45.

بعضًا من ألفاظ القرآن الكريم، مستغلين تأثيرها السحري على نفوس الناس فيتسترون بقناع التقوى والإيمان. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[65].

استطاعت الكاتبة بهذا الاقتباس، الذي وظفته في نسيج سردها الروائي، نقل الواقع الاجتماعي بحذافيره عبر نص مدعم بالشواهد الحية، إلا أن توظيف الكاتبة لهذه الآية في غير محله إذ معنى الآية: لا تجعلوا حلفكم بالله مانعًا لكم من فعل الخير.

وتستمر الكاتبة في التعبير عن رؤيتها الاجتماعية من خلال دعوتها لمقابلة العمل الطيب بالمثل، حيث تعاتب الذين يقابلون الحسنى بالإساءة، مثلما حصل مع شخصية الرواية (صابر)، الذي قدَّم للقبيلة خدمة كبيرة؛ بتخليصها من شرور (عبدون)؛ الشرير الذي أذاق القبيلة مرّ الأمور وعظائم الشرور، إلا أن شيخ القبيلة (الشيخ صالح) أمر بتوثيقه وإيداعه السجن بدلاً من مكافأته على صنيعه الطيب في القضاء على (عبدون) ما ولّد حسرة كبيرة عند القوم، وخصوصًا في قلب (حسناء) ابنة (الشيخ صالح)، التي قالت لأبيها: "ماذا فعلت يا أبي..

---

(65) البقرة، 2/ 224.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"[66]. وهذا الأمر يتكرر يوميًّا في الحياة وبين الناس، وحذر منه رب العالمين بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[67].

فكم من محسن يُساءُ له، وكم من خيِّر يتعرض للأذى والظلم، وقد أحسنت الكاتبة في الاعتماد على الاقتباس القرآني الذي زاد السرد الروائي قيمة دلالية.

وتؤكد الكاتبة بأن الواقع بما فيه من حياة يختلف كل الاختلاف عن الخيال، إذ تقول: "إنها أضغاث أحلام يا أبي"[68]، في محاولة من (حسناء) لإقناع والدها بأن (صابر) رجل من لحم ودم، وقد أثبت نفسه بمحاربة الشر والانتصار عليه، وهو بحسب المعطيات والدلائل لا يمكن أن يكون شريرًا، بل هو بوجه واحد يتميز بالطهر والشهامة، وما خلا ذلك فهو باطل، ولا يخرج عن كونه خيالاً، فاستخدمت اللفظ القرآني لتُلبس سردها الروائي ثوبًا تزين به نصها وتظلله بهالة دينية تكسبه هيبة ووقارًا،

---

[66] ديمة السمان، القافلة، ص 54 و 236؛ تكرر هذا التوظيف في رواية الأصابع الخفية، ص 62.

[67] الرحمن، 55/ 60.

[68] ديمة السمان، القافلة، ص 63؛ تكرر هذا في الأصابع الخفية، ص 23 و 173؛ تكرر أيضًا في برج اللقلق، 1/ 120؛ تكرر أيضًا في برج اللقلق، 2/ 120.

ونجد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[69].

وأحيانًا كانت الكاتبة تقحم استخدام اللفظ القرآني إقحامًا، كقولها: "ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً"[70]، مستمدة هذا القول من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[71].

لكنه خرج بعيدًا عن جو النص، وخالف السَّرد الروائي، فوضع القارئ في مطب جعله في حيرة من أمره، بعكس توظيفها حين قالت: "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"[72]. مقتبسة ذلك من الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[73].

---

[69] يوسف، 12/ 44.

[70] ديمة السمان، القافلة، ص 67؛ تكرر هذا التوظيف في الأصابع الخفية، ص 31.

[71] الأنفال، 8/ 42.

[72] ديمة السمان، القافلة، ص 89؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 1/ 34.

[73] التوبة، 9/ 51.

لقد جاء التوظيف هنا مناسبًا لواقع الحال، فالكاتبة أرادت أن تصف صورة الوضع العائلي لـِ(صابر)، الذي تزوج من (حسناء) وكانت تفصل بينها وبين عائلتها مسافة كبيرة جدًّا، وإن من حقها أن تذهب لزيارة أهلها، وأن تغامر في تحدي مشاق وأخطار السفر، فلا أحد يعلم بالغيب.

وظفت الكاتبة مقولة قد يرددها بعضهم دون وعي لأنها تنافي ما جاء به القرآن الكريم، وهذه المقولة قد وردت في الحوار الروائي على لسان (سجين الكاهنة) عندما خاطب (صابر) قائلاً: "دع الخلق للخالق"[74].

هذه المقولة تخالف في معناها مفهومًا إسلاميًّا وَرَدَ في القرآن الكريم في الآية الكريمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[75].

إلا أن توظيف هذه المقولة في سياق السرد الروائي لم يخلخله من ناحية فنية، ولكن المعنى سلبي جدًّا، فقد وضع الله شرطًا لكي يتحقق الخير في الأمة ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(74) ديمة السمان، القافلة، 73.

(75) آل عمران، 3/ 110

أما عندما عبَّرت عن ارتباط الممارسات الحياتية الاجتماعية بالموروث الإيماني، فإنها وظفت إحدى المعوذات: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[76] في قولها: "عطاء ربي.. بسم الله.. قل أعوذ برب الفلق"[77]، لتبين مقدار الرزق الذي انهال على (شاهر)، لدرجة أنه خاف من الحسد، وجاء توظيف الكاتبة للآية الكريمة مناسبًا لتثبيت المقصد.

كما ذكرت بعض الألفاظ الدينية عندما قالت على لسان (حسناء): "شده من أذنه.. فبيت صابر البدوي لا يرضى عن شاب لا يؤدي فروض الله"[78].

لقد كان الحوار بين سلطان وعمه شاهر حوارًا متكلفًا، فالكاتبة وضعت نفسها موضع الواعظ المرشد، وهذا ما لا يجب أن تكون عليه، لأن الكاتب فنان روائي ينسج النص بطريقة ساحرة تجذب انتباه القارئ، وتشده إلى متابعة القراءة بنهم شديد، وهذا ما لم أجده في ذلك الحوار، وها هي ذي تحث على بِرِّ الوالدين عندما قالت على لسان (سلام): "بعيدًا عن قول الله– وبالوالدين إحسانًا– صدق الله العظيم"[79].

---

[76] الفلق، 113/ 1.

[77] ديمة السمان، القافلة، ص 103؛ تكرر التوظيف في برج اللقلق، 1/ 71 ، 115، 156.

[78] ديمة السمان، القافلة، ص 150.

[79] ديمة السمان، القافلة، ص 236.

نلاحظ أنها اقتبست اللفظ القرآني ووضعته في موضع الجملة المعترضة (–) وهذا خطأ في الترقيم، إلا أن توظيفها للآية الكريمة هو توظيف جيد قد خدم النص وأعطاه عمقًا. ورد هذا اللفظ القرآني في الآية الكريمة: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[80].

أرادت من هذا التوظيف، أن تبين حالة الابن عندما يستيقظ ضميره، فإن الوازع الديني يحتم عليه الوفاء لوالديه مهما كانت المغريات، ومهما تفاقمت الصعوبات. كما إنها عبّرت عن الصورة الحقيقية لشعبنا الفلسطيني، الذي مزقه الشتات، فأبعد بين الابن وأبيه، والأخ وأخيه، وقد نجحت في هذا التوظيف لولا أنها استخدمت الأسلوب التقريري المباشر الذي يُذهب الإبداع، وأحيانًا توظف اللفظ والمعنى القرآني سعيًا منها لإكساب نصّها المصداقية والجدية عندما تقول: "ولا تنس أن الفُلك تسير بأمر الله.. وهو قادر.. كل شيء يسير بأمر الله.."[81]. ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي

---

[80] الإسراء، 17/ 23.

[81] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 10.

الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(82).

ويتكرر التوظيف الديني عندما قالت على لسان أحد القراصنة: "الله يعلم الجهر وما يخفى.. وما نعلن وما نبطن"(83)، فاقتبست ذلك من الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾(84).

نلاحظ اقتباسها الآية كما هي، ولكنها أوردتها على لسان أحد القراصنة، الذين يغيرون على السفن، فيقتلون، وينهبون الأبرياء، ولذلك فإن توظيفها غير مقنع وغير مبرر فنيًّا، حيث جاء ضمن حديث شخصية لا تناسب أن تكون واعظة، لكن ربما تريد الكاتبة نقل واقع بعض الشخصيات، خصوصًا الذين يتسترون في ثوب الوعظ وهمْ في الحقيقة لصوص يمتصون دماء الناس بدم بارد.

ووظفت الكاتبة اللفظ القرآني عندما قالت على لسان (عناد): "اصبر.. وما صبرك إلا بالله.."(85)، ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة:

---

(82) يونس، 10/ 22.

(83) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 10.

(84) الأعلى، 87/ 7.

(85) ديمة السمان، م. س.، ص 31.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[86].

ساعد هذا التوظيف في إبراز ثقة (عناد) بنفسه، كما أنها استطاعت أن تصف ثبات الشخصية، وجعلتنا نحس بها كأنها تتحرك أمامنا بلحمها ودمها.

ويتكرر في الصفحة التالية من الرواية توظيفها للمعاني القرآنية عندما تقول على لسان (عناد) أيضًا: "لا تفعل شيئا الآن.. دعهم في غيهم يسبحون.. وسيعرفون غدا أنهم مخطئون.."[87]. وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[88].

فالكاتبة توظف معنى الآية القرآنية لخدمة السرد الروائي خصوصًا في الحوار بين الشخصيات الرئيسة، الأمر الذي خدم النص.

ويتكرر توظيفها للفظ القرآني عندما تقول على لسان (عناد): "الله يفعل ما يريد"، فهي بهذا الاستناد المستمر على الألفاظ القرآنية تعطي

---

[86] النحل، 16/ 127.

[87] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 32.

[88] يونس، 10/ 11.

النص ظلاً من الجدية والموعظة الحسنة، وقد ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(89).

إنها تريد القول على لسان شخصيتها بأن الله هو الذي يسير الأمور وهو الرازق، بيده كل شيء، فجاء التوظيف موفقًا ومنسجمًا مع النص.

واستعانت بالقصص الديني بقولها: "لا تستكثر على الله شيئًا.. عندما ألقى الكفار بنبي الله إبراهيم في النار قال سبحانه: "يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم" .. وأنجاه الله من الحريق."(90). ورد هذا في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(91).

اقتبست الكاتبة الآية القرآنية لتوظفها ضمن سردها، فهي تعطي رسمًا لشخصيتها الروائية، وإظهار تأثرها وممارستها الدينية، وتبين مقدرة الله على كل شيء، ولكنها أغفلت قضية مهمة هنا، بأنها قد صنعت مقارنة خاطئة بين شخصية (عناد) وبين النبي إبراهيم- عليه السلام، تمامًا مثلما

---

(89) الحج، 22/ 14.

(90) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 56؛ تكرر هذا التوظيف في الأصابع الخفية، ص189.

(91) الأنبياء، 21/ 69.

فعلت في الصفحات السابقة عندما قارنت الشخصية نفسها بالنبي موسى- عليه السلام[92].

كما وظفت ما جاء في العقيدة الإسلامية، وخصوصًا ما يتعلق بقضاء الله وقدره، وذلك عندما قالت على لسان (عناد): "لو كان الإنسان يكتب قدره بيده ما رضيت لنفسي الغربة.. وما اخترت مواقف المذلة.. ولكن الإنسان مسير وليس مخيرًا.."[93]. فالإيمان بالقدر مبنيّ على الإيمان بأن الله قد علَّم الخلق، وقدّر ما يفعل الناس وحفظه في كتاب محفوظ، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون، فلا يتحرك في الكون شيء إلا بإرادته، فهو الخالق لكل شيء، وهو الذي خلق الخلق، وخلق أفعالهم أيضًا، وقد ورد هذا المعنى في كتابه العزيز: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[94].

أرادت الكاتبة من هذا التوظيف أن تبين لنا مدى تأثر (عناد) من واقعه المذل، فهو لم يختْر هذا الواقع إنما دفع إليه بقدرة الخالق عز وجل:

---

[92] ينظر: ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 49.

[93] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 67؛ تكرر ذلك في جناح ضاقت به السماء، ص81.

[94] الأنعام، 6/ 59.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[95].

كما أننا نتعرف من خلال هذا التوظيف الذي جاء على لسان بطل الرواية إلى أفكار الكاتبة، وما تحمله من عقيدة يظللها الإيمان بالقضاء والقدر، وقد أجادت بهذا التوظيف، وعززت من عمق النص.

اقتبست الكاتبة الآيات القرآنية في وصف الغابة وأشجارها عندما قالت على لسان (الراوي): "وكانت الشمس قد بدأت تطل من الغابة.. وتتسلق أشجارها الطويلة.. إلى أن استقر قرصها الذهبي على قمة شجرة بلح قطوفها دانية"[96]. ورد هذا اللفظ في الآية الكريمة: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[97]، فالشجرة التي وصفها القرآن الكريم في هذه الآية لا تنطبق أوصافها على شجر الدنيا، لأن ثمار أشجار الجنة يستطيع الناس قطفها وهم نائمون، فثمرها قريب وليس بعيدًا عن أحد، فأين من هذا الشجر من أشجار الدنيا الفانية؟!

---

[95] التغابن، 64/ 11.

[96] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 69 و23.

[97] الحاقة، 69/ 23.

وظفت الكاتبة قصة سيدنا موسى- عليه السلام- عندما عبر البحر هاربًا من بطش فرعون حين قالت: " بل كان قويًّا .. كعصا موسى.. فتح البحر.. فاستوليت على الجوهرة.. وحملني فوق أخطار الدنيا.. وجاء بي سليما معافى إليك.."([98])، فاستمدت هذه القصة من قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾([99]). أرادت بهذا التوظيف إثبات شدة محبة الأميرة لـ(عناد)، لكن استنادها إلى هذا التمثيل لم يكن مناسبًا، خصوصًا وأنها وصفتْ (عصا موسى) بالقوة وهي ليست كذلك، إنما كانت وسيلته لإثبات معجزته الربانية، فالقوة المادية هنا لم تكن واردة بمقدار قوة السحر، ولذلك فإن توظيفها كان مقحمًا.

في إشارة من الكاتبة إلى استهتار الناس بتاريخهم وتراثهم الأسطوري، وعدم استفادتهم من حكمة الأجداد، وعدم اتعاظهم بعثرات الماضي، نراها تتكئ على المعاني القرآنية في قولها: "أهملتم حكمة الأجداد فبهتت الخطوط على الكتاب.. كما بهت وجودكم في البلاد.. فاتعظوا يا أولي

([98]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 188؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 1/ 21.

([99]) الشعراء، 26/ 63.

الألباب"([100])، فاستمدت المعنى من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([101]).

لقد نسوا تراثهم، وفرطوا في مقدراتهم وأوطانهم، وهو ما يحدث فلسطين، بعد أن سيطر الاحتلال الصهيوني على البلاد، ونهب خيراتها دون مقاومة حقيقية، فالذي لا يدافع عن حقه في الوجود، فإنه لا معنى لوجوده أصلاً، ولا يضيع حقّه فقط، بل يضيع هو كذلك، فاستخدمت الرمز المحتمل، واتكأت على معاني الآية القرآنية المذكورة باستخدام بعضٍ من ألفاظها، وقد أفادت النص الروائي بهذا الاستخدام وجعلته قريبا من ذوق القارئ.

استخدمت الكاتبة بعض الألفاظ على أنها قرآن كريم وهي ليست كذلك؛ عندما قالت على لسان (حمدان): "قال تعالى: ولا ترموا بأنفسكم إلى التهلكة"([102])

لقد أخطأ (حمدان) في الآية القرآنية التي استشهد بها أمام عمه مبررًا تخاذله وجبنه، فهذه الشخصية المتهاونة، التي لا تتحلى بالأخلاق، أو

([100]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 8 و 9.

([101]) الزمر، 39/ 9.

([102]) ديمة السمان، م. س.، ص 35.

الإنسانية، هي أنموذج لهذا النوع من شخصيات المجتمع على أرض الواقع، فهو أناني، وجبان، ومدَّعٍ، وقد قصدت الكاتبة أنه يخطئ حتى في قراءة الآية، لتقنعنا بجهله، ولترسم لنا طباعه، فالآية التي استعملت الكاتبة ألفاظها جاءت على هذا النحو: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾([103]). أي لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بعدم إنفاقكم في سبيل الله، فامتناعكم عن الإنفاق يهلككم، وإنفاقكم ينجيكم.

كما استخدمت اللفظ القرآني لمساعدتها في رسم شخصيات الرواية عندما قالت: "سلاحي عصاي هذه.. أهش بها على غنمي.. وتساعدني على المشي في مسالك الجبل الوعرة"([104])، فهي تعبر عن قوة الشخصية للفتاة البدوية الواثقة من نفسها، وهي لا تقصد الفتاة (نفوذ) بذاتها، إنما تشير إلى أن الفتاة العربية إذا ما أعطيت الفرصة فإنها تثبت جدارتها في كل الميادين، فأصعب مهنة هي مهنة الرعي، وكثيرًا ممن عملن في هذه المهنة قد توجهن إلى التعليم بعد أن تخرجن من الجامعات يحملن التخصصات المختلفة، وقد أثبتن جدارتهن في مختلف المجالات الحياتية،

([103]) البقرة، 2/ 195.

([104]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 96.

فهي تشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[105].

وقد استخدمت الكاتبة اللفظ القرآني لما له من تأثير إيجابي على مجمل النص، فلَه وقع جميل ومعنى عميق، فأثرى النص بهذا، وجعله نصًّا متفاعلاً مع المعنى المقصود بشكل عفوي لا إقحام فيه.

كما وظفت اللغة المكثفة التي يتميز بها القرآن الكريم بقولها: "تُحيينني ثم تُميتينني يا نفوذ.. أي ظالمة أنت؟ لا أفهم.. طعامك بعد أن كاد الجوع يقتلني.. وحبك يقتلني بعد أن شبعت معدتي وتعلقت روحي بك.. الله وحده الذي يحيي ويميت يا عبود"[106]، فقد استمدت هذا اللفظ من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[107]. إنها تثبت قوة العلاقة، ومتانتها، وتطورها السريع بين (عناد) و(نفوذ)، والتي تبني الكاتبة عليها مجمل روايتها تقريبًا، وقد خدم هذا التوظيف النص وارتقى به، فقد صورت الكاتبة (عبود) وهو في المغارة، لا حول له ولا

(105) طه، 20/ 18.

(106) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 43.

(107) الأعراف، 7/ 158.

قوة، على حافة الموت من شدة الجوع، حتى أتت (نفوذ) الفتاة البدوية باحثة عن عنزتها، فوجدت (عبود) في المغارة وقد احتفظ بالعنزة، ثم تنشأ بينهما علاقة حب قوية؛ صارت (نفوذ) على إثرها تأتي إلى المغارة كل يوم بالطعام إلى (عناد) الذي كان هاربًا من المحتل الصهيوني.

ويتكرر الخطأ الشائع عند عامَّة الناس في قولها: "وجعلنا لكل شيء سببًا"... صدق الله العظيم"[108]، فهذا ليس بقرآن، وإنما عبارة تتردّد على ألسنة الناس على اعتبار أنها قرآن، وهي ليست من القرآن الكريم، وقد أخطأت الكاتبة باعتبارها من القرآن الكريم، إذ كان يجب عليها التثبّت بالرجوع إلى القرآن الكريم، حيث أن كلمة (سببًا) قد وردت في القرآن الكريم أربع مرات كلها في (سورة الكهف) في الآيات الكريمات: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[109]. ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[110]. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[111]. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[112].

---

[108] ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 43؛ تكرر هذا التوظيف، في برج اللقلق، 1/ 66؛ وتكرر أيضا في برج اللقلق، 2/ 28.

[109] الكهف، 18/ 84.

[110] الكهف، 18/ 85.

[111] الكهف، 18/ 89.

[112] الكهف، 18/ 92.

كما نرى أنَّ الكاتبة قد خلطت بين هذه المقولة "وجعلنا لكل شيء سببًا، وبين قوله تعالى عن (ذي القرنين): ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

هذا الخلط غير مقبول، خصوصًا وأنها كررت ذلك الخطأ في رواية (برج اللقلق) في جزئيها، إذ كان عليها توخي الدقة في التعامل مع اللفظ القرآني، أما معنى العبارة فهو صحيح، ومناسب لتوظيفه في خدمة النص، فإن الله عز وجل جعل لكل شيء سببًا، فالله أمر بأخذ الأسباب وفعلها.

وفي وصفها للحالة النفسية المتأزمة عند (عناد) بعد ترك (نفوذ) له، ليصبح وحيدًا مع هواجسه التي تتقاذفه بكل اتجاه، ما دفعه إلى حالة من الكآبة بقولها: "أفوّض أمري إلى الله"([113])، فلم يجد بعدها مخرجًا، إلا أن يترك مصيره إلى رب العالمين، فاقتبست المعنى من قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾([114]).

([113]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص104.

([114]) غافر، 40/ 44.

تحاول الكاتبة إسقاط أفكارها الشخصية على شخصياتها بقولها: "القلب لا يجمع بين الضدين"([115])، مشيرة بذلك إلى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾([116]).

فالإنسان لا يمكن أن يحمل في قلبه الكره والحب بالدرجة نفسها، وهذه الفكرة هي فكرة الكاتبة تسقطها على شخصيتها، وتقدمها للقارئ من خلال المرأة، وهذه إشارة من الكاتبة إلى أهمية دور المرأة في المجتمع الثقافي، فهي في رأي الكاتبة أكثر علما وحكمة من الرجل على الرغم من إنها أي (نفوذ) والتي تختفي خلفها شخصية الكاتبة نفسها، هي في الرواية راعية غنم، وفي الوقت نفسه على دراية بعلوم كثيرة، على غرار النساء العربيات اللواتي اتصفن بالحكمة، (كليلة الأخيلية)([117]) و(ريا بنت الأعرف)([118])، فأحسنت الكاتبة في هذا التوظيف الذي خدم النص، ونقل الفكرة من قلب الكاتبة إلى قلب القارئ بصورة حسنة لا إقحام فيها.

([115]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 109.

([116]) الأحزاب، 33/ 4.

([117]) ينظر: المرزباني، أشعار النساء، ص 36–58.

([118]) ينظر: المرزباني، أشعار النساء، ص 59.

تناولت الكاتبة معاني اللفظ القرآني بقولها: "الزواج بالمحبة والرضا.. وليس بالغصب والتهديد.. هكذا يقول الشرع والدين.."([119]).

وقد أكد القرآن الكريم على العلاقة بين الرجل والمرآة بما يتعلق ببناء الأسرة والزواج، وبأن الحياة الزوجية تظللها المحبة وتغلفها السكينة والرحمة، لا بالقوة والغضب والقسوة، وقد ورد هذا المعنى في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة نبيه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾([120]).

تريد الكاتبة أن تُبيِّن موقف الأم كامرأة تثور على الظلم، وهي إشارة إلى دور المرأة القوية الرافضة للظلم، وهذا إسقاط واضح من الكاتبة على شخصيتها الروائية، فهي تبث أفكارها الخاصة متسترة بالشخصية، فالكاتبة نفسها شخصية اجتماعية تسعى للنهوض بدور المرأة في شتى المجالات، وهذا ما يظهر جليًّا في نصها الروائي، فهي تقول: "ثارت الأم وقالت: "نجوم السماء أقرب له من أن يمس ظفرك.."([121]). وقد وظفت

([119]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 149؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 116.

([120]) الروم، 30/ 21.

([121]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 149.

معاني اللفظ القرآني لدعم وجهة نظرها، فالمحبة والسكينة هي البيت الأساس للأسرة، وليس الحجارة والأبواب.

كما وظفت الكاتبة معاني اللفظ القرآني عندما قالت على لسان (أم عناد): "وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات.."([122]). ورد هذا المعنى في الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾([123]). وظفت الكاتبة هذا المعنى للآية القرآنية لتثبت بأن للناس درجات في القدرة والتحمل، وبهذا التوظيف الذي جاء على لسان (الأم) إشارتان، أما الأولى فهي- الكاتبة- أرادت القول إنَّ الأم هي مثل أي أم مسلمة تستند في كلامها إلى آيات من القرآن الكريم، فقد وظفت الكاتبة معاني الآيات القرآنية أكثر من مرة في فقرة واحدة وعلى لسان الأم بالتحديد، فهي تقول: "إن سألتني أفعل كما فعل خادم سليمان عندما أحضر له عرش بلقيس برفة عين"([124])، فوظفت قصة سيدنا سليمان- عليه السلام- في قول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا

([122]) ديمة السمان، م. س.، ص 151.

([123]) الأنعام، 6/ 165.

([124]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 151.

آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[125]

فهي المرأة القوية التي تستطيع عمل المعجزات، وهي هنا تمثل المرأة الفلسطينية، التي تناضل جنبًا إلى جنب مع الرجل لمواجهة الاحتلال الصهيوني، مدافعة عن الأرض، وهي أم الشهيد الصابرة، وأم الأسير رابطة الجأش، صانعة الأجيالَ الفلسطينية القادرة على حمل اللواء، فالمرأة الأم هي بعفويتها الإيمانية التي تدلي برأيها وتعبر عن موقفها بما تحفظه من القرآن، أو بما تفهم معناه، فتقوم بدور الناصح الراشد للأبناء، وهي الراعي التربوي لهم، والإشارة الثانية إنها تؤكد على دور المرأة الفلسطينية الميسرة لحياة الأسرة والتي تشكل اللبنة الأساسية لها.

أما عبود فيقول لوالدته مقتبسًا من القرآن الكريم، عندما قالت له: "ألا تثق بأم مسعود يا عبود؟: بلى.. ولكن ليطمئن قلبي"[126]، ورد هذا القول على لسان سيدنا إبراهيم- عليه السلام- عندما قال لأبيه كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ

---

[125] النمل، 27/ 40.

[126] ديمة السمان، م. س.، ص 151؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 135.

تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(127).

فعبود يثق بما تقوم به والدته فهي قادرة على "إحضار عرش بلقيس"، وهي قادرة على تحقيق أحلامه، والكاتبة تعزز فكرتها مرة ثانية وثالثة... وعاشرة، في أن المرأة الفلسطينية المؤمنة، تستطيع تحقيق الأمن والسكينة لأبنائها ولأسرتها، فها هو ذا (عناد) يجد (نفوذ) أمامه برغم العقبات الكثيرة التي تقف بطريقه، فجاء التوظيف منسجمًا مع السرد الروائي الفني.

وقد وظفت اللفظ القرآني على لسان الأب، أيضًا، عندما قال والد (عناد) مخاطبًا (نفوذ): "دعيهم يتكلمون ويتآمرون.. فهم في غفلة عما يفعلون.."(128)، ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(129).

---

(127) البقرة، 2/ 260.

(128) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 152.

(129) مريم، 19/ 39.

أرادت الكاتبة أن تبين دور الأب من خلال هذا التوظيف؛ الأب الذي هو عماد البيت، الرحيم بأبنائه، ضابط للأمور حين يكون خلاف بين عناصر الأسرة، وقد نجحت الكاتبة في تحقيق هذا الأمر دون الإخلال بسير السرد الروائي الفني، بل على العكس من ذلك، فإنها أثرت السرد بذلك التوظيف.

اقتبست من اللفظ القرآني عندما قالت على لسان (نفوذ) التي توجه كلامها إلى زوجها (عناد): "يأتيكم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة"(130)، مستمدة هذا اللفظ من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(131).

فهي تبدي موقفها الخاص من خلال (نفوذ) الشخصية المحورية في رواية (جناح ضاقت به السماء)، عندما اقتبست من القرآن الكريم هذه الآية، لتقول لنا بأن الجميع مطالبون بالوقوف وقفة رجل واحد في الدفاع

---

(130) ديمة السمان، م. س.، ص 210.

(131) النساء، 4/ 78.

عن كرامتنا العربية في فلسطين([132])، وهي إشارة من الكاتبة إلى المقاومة الشعبية خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي هب الشعب بجميع شرائحه الاجتماعية، والسياسية، في وجه المحتل الغاشم، وكسروا حاجز الخوف من جنود الاحتلال، بمقاومتهم له بالحجر المقدس، والعزيمة الحديدية، والإرادة الفولاذية.

ويتكرر توظيفها للقصص القرآني عندما قالت: "والحجر الذي رماه ابنك كان النبي داود قد وضعه في مقلاعه.."([133])، فقصة النبي داود الذي قتل بحجره الطاغية (جالوت)، فاستمدت القصة من قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾([134]).

فوظفت هذه الآية لتبين لنا الحالة الفلسطينية إبّان الانتفاضة المباركة، والتي استعمل فيه المقاومون الفلسطينيون الحجر والمقلاع في مواجهة الآلة العسكرية الصهيونية، فكان الحجر سلاحًا فاعلاً في رفع القضية

([132]) ينظر: زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، 2003. ص 86.

([133])ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص 207.

([134]) البقرة، 2/ 251.

الفلسطينية إلى أولى اهتمامات العالم، وقد شبهت الكاتبة حجر الطفل الفلسطيني بحجر النبي داود- عليه السلام، فوجه الشبه بينهما في أن الأول قتل طاغيةً مستبدًا هو الملك (جالوت)، أما الثاني فقد حَيَّدَ الأسلحة الصهيونية المتطورة وجعلها غير فاعلة في مواجهة الطوفان الشعبي العارم، وقد وفّقت الكاتبة في هذا التوظيف، الذي خدم النص الروائي، وعمَّق الفكرة التي وصلت القارئ بصورة حية عمّا كان يحدث في انتفاضة الشعب الفلسطيني الذي كسر القرارات الإسرائيلية آنذاك.

وظفت الكاتبة الألفاظ القرآنية التي تحمل في طياتها معانٍ تفيد النص السردي للرواية، عندما قالت على لسان (أبو الطاهر): "دعونا من المزاح.. سمعت الكثير حول هذا الموضوع.. ولكن كيف؟؟ الجان من نار.. ونحن من طين؟"[135]، فهي تُعبِّر عن الحالة النفسية التي آلت إليها عند الناس في ذلك الزمن، وبأن الكثيرين كانوا يحيلون الظواهر الغريبة، والتي لا يجدون تفسيرًا لها إلا عند الجن، والغريب أنهم كانوا يفسرون قدرات الرجال الشجعان بأنهم من أبناء الجن، ولذلك فإن الكاتبة قد استخدمت هذا اللفظ على لسان إحدى الشخصيات لتقول لهم بأن الجن وحده يمثل الجن، ولكن الرجال هم من لحم ودم خلقوا من الطين،

---

(135) ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 44.

فجاء التوظيف مناسبًا لحال السرد الروائي الذي تعزز به، ورفع من قيمته الفنية. ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[136].

اقتبست من القرآن الكريم قولها: "وتذكر الآية الكريمة.. "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون" صدق الله العظيم"[137].

تحاول الكاتبة من خلال هذا التوظيف تبرير تصرفات (عبد الجبار)، الذي كان يأتيه جده بالحلم فيجزره ويؤنبه لدرجة أنه صار يراه في الحلم كالكابوس يأتيه على شكل جده الشهيد، ولدرجة أنه أصبح يتحكم به وبتصرفاته، فيقدم مؤونة أولاده للآخرين؛ ما سبب الضيق الشديد لدى زوجته (نفيسة)، التي وصل بها الأمر أن تركته لأوهامه وكوابيسه، فاقتبست الآية بحسب ورودها في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[138].

---

[136] الرحمن، 55/ 15.

[137] ديمة السمان، م. س.، 1/ 114.

[138] آل عمران، 3/ 169.

استخدمت هذه الآية التي درج الناس على ترديدها أيام انتفاضة الحجارة، فقد استخدمها الخطباء من على المنابر أثناء تأبين الشهداء الذين كانوا يتساقطون يوميًّا كأوراق الخريف، وقد عايشت الكاتبة هذه الانتفاضة، فتأثرت بها، كما تأثر بها العالم أجمع، نتيجة سقوط الضحايا من الشعب الفلسطيني بالعشرات فاستفاد السرد الروائي من هذا التوظيف.

وفي محاولة لحث الناس على العمل والمثابرة نراها توظف الآية التي توفر في معانيها هذه القيمة السامية، على لسان أحد منظري الثورة العربية الكبرى في الحي بقولها: "ماذا تتوقعون.. والمثل يقول: لا يفلّ الحديد إلا الحديد[139].. فالدعاء لا يرفع الظلم عن المظلومين.. "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".. صدق الله العظيم"[140]، فاستمدت اقتباسها من قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[141]، للتعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي ساد في تلك الفترة، فترة انهيار الخلافة العثمانية من الداخل ومن الخارج، وقد

---

[139] ينظر : توظيف المثل الشعبي.

[140] ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 161.

[141] التوبة، 9/ 105.

أجادت في استخدام هذا التوظيف الذي خدم النص الروائي وساعد على توصيل الفكرة من ذهن الكاتبة إلى المتلقي.

وتكمل الكاتبة استعانتها باللفظ القرآني عندما تقول: "ما عليك سوى أن ترددي قول الله سبحانه.. فأنت سيدة مؤمنة طاهرة.. "وجعلنا من بين أيديهم سدًّا.. ومن خلفهم سدًّا.. فأغشيناهم فهم لا يبصرون.." صدق الله العظيم[142]. استخدمت الكاتبة هذه الآية لتبين لنا الصورة الحياتية للمجتمع، زمن الصراع الفلسطيني الصهيوني الذي كان مدعومًا بشكل كامل من الإنجليز، وقد بينت لنا بأن الحالة وصلت إلى طريق صعب، لدرجة أن الناس اخذوا بالدعاء كملاذ أخير، بعد أن عدموا الحيلة للدفاع عن أبنائهم، وقد وردت الآية الكريمة التي وظفتها الكاتب في القرآن الكريم على هذا النحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[143].

كما نلاحظ أنَّ الكاتبة اقتبست الآية بصورتها في القرآن الكريم، ووضعتها في قالب خدم الصورة، التي أرادت الكاتبة رسمها للواقع الفلسطيني أثناء الصراع المستميت للدفاع عن الأرض أمام أعتى القوى

---

[142] ديمة السمان، م. س.، 1/ 180 و 193.

[143] يس، 36/ 9.

في ذلك الزمن؛ وهي بريطانيا العظمى التي ساندت القوات الهمجية الصهيونية. لكنها تستخدم اللفظ القرآني في غير مكانه بقولها: "قال الرجل: فذكِّر إن نفعت الذكرى.. والهدف نبيل"[144]، مقتبسة ذلك من الآية الكريمة: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[145].

أقحمت اللفظ القرآني في الحوار إقحامًا، فلم ينسجم مع الصياغة الفنية للحوار، فظهر غريبًا عن بقية النص.

وتوفّق في توظيف اللفظ القرآني في موطن آخر، عندما تقول (نفيسة) لولدها (ليث) الذي باع نفسه للخطيئة، وسقط في مستنقع الخيانة، فهي تقول: "حب المال عند الإنسان كحب جهنم للخاطئين دومًا تقول هل من مزيد..؟"[146]، فقد جاء التوظيف منسجمًا مع فكرة الكاتبة وسردها، فخدم النص الروائي فنيًّا وموضوعيًّا، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[147].

وما بين هذا وذاك تأتي الكاتبة على توظيف اللفظ القرآني توظيفًا مباشرًا حين تقول على لسان العميل (ليث) مخاطبًا رجل المخابرات

---

[144] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 74.

[145] الأعلى، 87/ 9.

[146] ديمة السمان، م. س.، 2/ 104.

[147] ق، 50/ 30.

الكابتن (موريس) قائلاً: "الله خلق الدنيا في ستة أيام"([148])، حيث يريد (ليث) المماطلة، واكتساب الوقت، فيستخدم اللفظ القرآني أمام رجل المخابرات الذي لم يأبه به وبما يقول، ذلك إن رجل المخابرات يسير ضمن منهج مخطط له مسبقًا محدد بأمور لها علاقة بكل المحاور الزمانية والمكانية والأمنية، فإذا لم تتوفر بالعميل الذي يجنده لخدمة مخططاته، فإنه يستغني عنه ويصفيه بنفسه، وهذا ما أرادت الكاتبة التعبير عنه من خلال الحوار، فاستمدت الكاتبة هذا التوظيف من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾([149]).

ثانيًا: توظيف الحديث النبوي الشريف: استخدمت الكاتبة عبارة "جاءا إلى المسجد الأقصى لتقديس حجتهما بعد أن أديا فريضة الحج..."([150])، وهذا ما اعتاد عليه الناس منذ القدم، عندما يحجون إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي، تبعًا لسنة النبي المصطفى- صلى الله عليه

([148]) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 121.

([149]) يونس، 10/ 3.

([150]) الضلع المفقود، ديمة السمان، ص9

وسلم- عندما يدعو المسلمين إلى زيارة المساجد الثلاثة الأهم على وجه الأرض، فقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: {لا تُشد الرِّحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مساجدَ: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى}[151].

أما لفظة تقديس فهي نسبة إلى مدينة القدس، وهي هنا تحدد المكان، وتعطيه أهمية كبيرة في روايتها ما يجعل القارئ يثق بالنص الذي بين يديه[152]، كما نلاحظ إشارة واضحة إلى أن الرحلة التي كان يقوم بها الحاج من المسجد الحرام إلى بيت المقدس كانت رحلة طويلة وشاقة على الحجاج، قالت: "كان التعب يبدو واضحًا على زوجها.. فقد كان أعجز من أن تتحمل شيخوخته مشاقَّ الرحلة.."[153]، فقد ذكرت لنا الكاتبة ذلك لإيجاد شخصية أساسية في روايتها وهي شخصية (عنبرة)، فمن خلال هذا الاستناد نجحت في خلق المبرر والأساس اللازم لتسلسل أحداث روايتها. واستخدمت الكاتبة اللفظ والمعنى المستمد من الحديث

---

[151] سنن، ابن ماجة، رقم الحديث 1409، 2/ 524؛ الترمذي، الجامع الكبير، 1/ 358، رقم الحديث (326)؛ المناوي، فيض القدير، 6/ 523، رقم الحديث (9802).

[152] ينظر: حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 1950-2000، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2007. ص127.

[153] الضلع المفقود، م. س.، ص 9

الشريف بقولها: "للجائع والفقير حق في مال الغني"([154])، ورد هذا في قول ابن عباس: {إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا- رضي الله عنه- إلى اليمن فقال: ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم}([155])، فاستفاد النص من هذا التوظيف، خوصًا وأن السرد كان منصبًا على العلاقات الاجتماعية الإنسانية ما شكل عندها حجة شرعية مقنعة لتوضيح فكرتها القائمة على مساعدة الغني للفقير.

ويتكرر التوظيف الديني عند الكاتبة عندما تقول على لسان (عنبرة) في (الضلع المفقود): "المنطق يقول ابدأ بنفسك ثم بأخيك"([156]). ونجد المعنى هذا في قول أبي الزبير عن جابر قال: {أعتق رجل من بني عذره عبدًا له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألك مال غيره فقال لا فقال من يشتريه مني فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمان

([154]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 28.

([155])ابن ماجة، سنن، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه، بشَّار عوَّاد معروف، ط1، بيروت: دار الجليل، 1418/ 1998، باب الزكاة، 3/ 251 رقم الحديث(1783).

([156]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 32؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 1/ 107 و 119.

مائة درهم فجاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك}(157).

وعندما أرادت الكاتبة إزالة الفروق الطبقية بين الناس بقولها على لسان (عياش): "كلنا بشر.. والنبل لا يكون إلا في الأخلاق والمعاملة الحسنة."(158)؛ وذلك في رده على جده عندما قال له: "كيف وأنت من طبقة الفلاحين وهي من النبلاء؟؟"(159)، فاستمدت الكاتبة هذه القيمة الأخلاقية من أقوال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: {يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم}(160). تريد بذلك إظهار

---

(157) مسلم، صحيح،997؛ البخاري، صحيح، 2034؛ الترمذي، سنن، 1219؛ النسائي، سنن، 4652؛ أبو داود، سنن، 3957؛ أحمد، مسند، 305/ 3.

http://hadith.al-islam.com/Page.aspx?pageid=192&BookID=27&PID=4580

(158) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص54.

(159) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص54.

(160) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} 3300.

http://hadith.al-islam.com/Page.aspx?pageid=192&BookID=24&TOCID=2083

تغلغل الأفكار الطبقية في المجتمع الهندي، فالحوار كان بين الجد وعياش، الذي يدافع عن فكرة الكاتبة بأن الفروق الطبقية لا توافق الشرع الإسلامي كما جاء في حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- سابق الذكر.

كما يظهر تأثرها بالحديث عندما قالت: "المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف"([161]). ورد هذا المعنى في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قلْ قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان}([162]).

أرادت الكاتبة من خلال حوار (عياش) ومحبوبته (مريم)، الذي دار حول المجتمع الطبقي، أن تثبت أنه لا فرق بين إنسان وإنسان آخر إلا بما هو عليه من قوة علمية وأدبية وخلقية وعقلية، فالإنسان القوي هو الذي

([161]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 68.

([162]) ابن ماجة، السنن، المقدمة، باب القدر، 1/ 102-103 رقم الحديث (79).

يثبت دوره الحقيقي في بناء مجتمعه، بعكس الإنسان الجاهل الضعيف الذي يكون دوره محدودًا.

واستخدمت الكاتبة معاني صريحة من الحديث النبوي الشريف عندما قالت: "فلا ترضى لغيرك ما لا ترضى لنفسك"([163])، مستمدة هذا المعنى من قول أنس رضي الله عنه نقلاً عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله: {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه}([164]).

وظفت هذا المعنى لتثبيت بأن على الإنسان التفكير بغيره كما يفكر بنفسه بالحقوق والواجبات، والابتعاد عن الأنانية المفرطة. كما وظفت الكاتبة اللفظ الديني المستمد من الحديث النبوي الشريف في قولها: "الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها"([165])، للحثِّ على العفو، بعد اكتشاف (عيَّاش) المتأخر بأن زوجته عائشة قد فرقت بينه وبين حبيبته (مريم). استقت هذا المعنى من الحديث الشريف: {قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له

([163]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص75.

([164]) الترمذي، الجامع الكبير، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه، بشَّار عواد معروف، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، صفة القيامة والرقائق والورع، 4/ 284، رقم الحديث (2515)؛ ابن ماجة، السنن، المقدمة، 1/ 90 رقم الحديث (66).

([165]) ديمة السمان، م.س.، ص247

بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها}([166])، وهذه رسالة من الكاتبة بأن التسامح والعفو أفضل الطرق للاستقرار وراحة البال. استندت في ذلك إلى الحديث الشريف، سالف الذكر، وأجادت في هذا التوظيف الذي عزز فكرتها، وجعلنا نعي ما ترمي إليه دون أن تشتت انتباهنا. ويتكرر توظيفها لأقوال النبي–صلى الله عليه وسلم– بقولها: "اجلس فقد آن الأوان أن تعطي نفسك حقها.. إن لبدنك عليك حقًّا"([167])، فاستمدت قولها من حديث النبي–عليه الصلاة والسلام، لكن بتبديل كلمة "لبدنك" مكان كلمة "جسدك"، وكان على الكاتبة الإبقاء على الكلمة نفسها لما فيها من قوة بلاغية، فالجسد هو كامل جسم الإنسان بينما البدن هو عضو من أعضاء الجسم،([168])؛ قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: {يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقًّا وإن لعينك عليك حقًّا وإن

([166]) أبو الفرج الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق، محمود بن شعبان وآخرين، ط1، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، 1417/ 1996، الإيمان، 1/ 154، رقم الحديث (42).

([167]) ديمة السمان، القافلة، ص36.

([168]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3 (طبعة جديدة محققة)، بيروت: دار صادر، 2004، باب جسد، باب بدن.

لزوجك عليك حقًّا وإن لزورك عليك حقًّا وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله فشددت فشدد علي قلت يا رسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام قال نصف الدهر فكان عبد الله يقول بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم}([169]).

فبيَّنت مدى اهتمام (حسناء) بـ(صابر) الذي كان يهتم برجاله، لدرجة أنه نسي نفسه. كما أن الكاتبة تشير من خلال هذا الاهتمام إلى حالة الحب التي نشأت بين (حسناء) و(صابر)، وأظنها قد نجحت في ذلك.

وعندما قالت: "وكان الجميع سكوتًا كأن على رؤوسهم الطير.. فلم ينبس أحد ببنت شفة.. لا صوت سوى صوت المضغ رتيبًا وابتلاع الطعام زورًا.."([170])، فإنها تريد القول بأن عائلة (حسناء)، التي فقدت زوجها، أصبحت في حالة يُرثى لها، فالزوجة دائمة القلق، وسلبها

([169]) البخاري، الصحيح، كتاب الصيام، 1874؛ مسلم، صحيح، كتاب الصيام، 1159؛ الترمذي، سنن، كتاب الصوم، 770؛ النسائي، سنن، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، 1630؛ أحمد، مسند، مسند المكثرين من الصحابة، 158/ 2؛ الدارمي، سنن، كتاب الصوم، 1752. http://hadith.al-islam.com/Page.aspx?pageid=192&TOCID=1253&BookID=24&PID=1878

([170]) ديمة السمان، القافلة، ص181-182.

التفكير بزوجها كل تركيز لدرجة أنها قررت السفر عبر الصحراء للبحث عن زوجها، وهذه صورة نمطية للعائلة الفلسطينية التي تفقد معيلها، سواء بالاستشهاد، أو الأسر، أو الغياب القسري، وبهذا فإن الكاتبة استطاعت التعبير عن هذه الحالة بصورة جيدة، واستخدامها للفظ الديني قد ساهم لإيصال الفكرة للقارئ، فاستمدت قولها من الحديث النبوي الشريف: عن أبي الزبير عن جابر قال: {خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وكان لا يأتي البراز حتى يتغيب فلا يرى فنزلنا بفلاة من الأرض ليس فيها شجر ولا علم فقال يا جابر اجعل في أداوتك ماء ثم انطلق بنا قال فانطلقنا حتى لا نرى فإذا هو بشجرتين بينهما أربع أذرع فقال يا جابر انطلق إلى هذه الشجرة فقل يقل لك الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فرجعت إليها فجلس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خلفهما ثم رجعتا إلى مكانهما فركبنا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ورسول الله بيننا كأنما علينا الطير}[171].

لقد استخدمت الكاتبة الألفاظ التي وردت عن الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- للتعبير عن فكرتها بطريقة يقبلها القارئ دون تردد، وقد درج هذا القول مثلاً على ألسنة العامة أيضًا؛ ويضرب للساكن الوادع،

---

[171] ابن ماجة، السنن، الطهارة وسننها، 1/ 294 رقم الحديث (335).

ويوصف مجلس الرسول- صلى الله عليه وسلم- فيقولون: إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير.[172]

وظفت الكاتبة الألفاظ النابعة من التراث الإسلامي عندما قالت على لسان الراوي: "فرحت حسناء أيَّما فرحةٍ عندما جاءها البشير ينبئها بالخبر.. ونذرت لله أن تضحي بثلاثة خراف إذا أكمل الله عطاءه ومنّ على حمدان وسلطان بذكرين."[173]، وهذه إشارة إلى مقدار ما يتمناه الناس للذكور من الأبناء، وتفضيلهم على البنات، لدرجة أن الناس يقدمون النذور إذا ما تحقق لهم ذلك، وقد ورد في الأحاديث النبوية عن النذور عندما قال عبد الله بن عمر نقلاً عن الرسول- عليه الصلاة والسلام-: {إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر وإنما يستخرج بالنذر من البخيل}[174].

ساعدها التوظيف على تصوير مقدار الإيمان الذي يتحلى به الناس في زمن الرواية الذي كان في الثلث الأول من القرن الماضي، فساهم في إثراء السرد الروائي وعزز من كثافته اللغوية. وقد وظفت الكاتبة الحديث

---

[172] ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، صنعه قصي الحسين، طرابلس: دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع. 2/ 146.

[173] ديمة السمان، القافلة، ص198.

[174] ابن ماجة، الكفارات، 3/ 496 رقم الحديث (2122).

النبوي الشريف عندما قالت على لسان والدة (عناد): "أتؤمن بالخرافات يا عناد؟ إنه وهم يضللونك به.. فارجع إلى عقلك.. واذكر الله.. فما هذا إلا من عمل الشيطان.. كذب المنجمون ولو صدقوا"([175]). ورد معنى هذه الألفاظ في قول الرسول- عليه الصلاة والسلام-: {من أتى كاهنًا أو عرّافًا، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم}([176]). لقد أرادت الكاتبة من هذا التوظيف أن تبين أهمية الإيمان بالله، وبأنَّ المنجمين هم كاذبون، ومن يصدقهم فقد كفر بما أُنزل على سيدنا محمد- عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام-، وأن الجهل هو الذي يدفع الناس إلى اللجوء إلى الكهنة والمشعوذين، لأنهم لا يكونون بكامل وعيهم، مثل الذي يصيبه مسٌّ من الجنون والعياذ بالله، وحثت بذلك على الابتعاد عن هذا السبيل الذي ينتهي عادة بالندم.

وظفت القول الشائع والذي يشبه في معناه الحديث النبوي الشريف عندما قالت على لسان (مرجانة): "تفاءلي بالخير تجديه يا مولاتي"([177]). هذا القول يشبه في معانيه الحديث النبوي الشريف: {أن رسول الله صلى

([175]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص105.

([176]) الترمذي، الجامع الكبير، الطهارة، 1/ 178 رقم الحديث (135)؛ ابن ماجة، الطهارة، 1/ 506 رقم الحديث (639).

([177]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص169.

الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل قالوا يا رسول الله وما الفأل قال الكلمة الطيب} (178).

وظفت معنى الحديث الشريف، لتعزيز الأمل في نفس الأميرة، التي كانت تنتظر عودة عناد من مهمته الخطرة، لتُظهر حالة القلق التي كانت تعيشها الأميرة، وقد أفادت باستخدامها هذا القول المستنبط من الحديث النبوي الشريف، بأن الفأل كلمة طيبة نعيشها، ونمارس معانيها التي تعزز مقدرتنا على الصمود والانتظار، فالإنسان لا يمكن أن يعيش حياته بلا أمل.

كما وظفت معاني الحديث الشريف بقولها: "الزواج طيبة وليس غصيبة".(179). ورد هذا المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: {لا تُنكح الثيِّب حتى تُستأمر ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن وإذنها الصموت} (180).

تُبيِّنُ بهذا التوظيف، حق المرأة باختيار شريك حياتها، دون ضغط عليها، فبينت وجهة نظرها من خلال إسقاطها على شخصية الرواية

---

(178) الترمذي، الجامع الكبير، السير، 3/ 258 رقم الحديث (1615)؛ ابن ماجة، السنن، الطب، 5/ 178-179 رقم الحديث (3537).

(179) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص31.

(180) الترمذي، الجامع الكبير، النكاح، 2/ 400 رقم الحديث (1107).

(نفوذ)، وبهذا التوظيف استطاعت الكاتبة تمرير أفكارها، وأظنها نجحت بذلك، ناهيك عن خدمة هذا التوظيف لبنية النص الفني للرواية، فكان الانسجام واضحًا بين النصّ الأصلي وبين التوظيف للمعاني الشريفة.

وفي قولها: "لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين"[181]، تبين مدى تأثر (عبد الجبار) بما حصل معه في باب الخليل، وبأنه يرفض الذهاب للعمل هناك خوفًا من تعرضه للمهانة من جديد، فيبرز لنا معنى الحديث الشريف: {لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين}[182]
الذي اعتمدت عليه في توضيح الصورة الفنية، فأجادت بذلك، واستفاد النص من هذا التوظيف، فنيًّا ولغويًّا.

توظيف التراث الديني النصراني

ورد في النص الروائي ذكر للعشاء الأخير، في قولها:"فكانوا النبع الذي يغرف منه الجميع مالاً ودواءً وشفاءً وغذاءً حتى ظن الجميع أن آل

---

(181) ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 35 و 183.

(182) ابن ماجة، سنن، الفتن، 5/ 466 رقم الحديث، (3982).

العطار كالعشاء الأخير الذي أنزل على المسيح بن مريم عليه السلام.. كلما أخذوا منه زاد عطاؤه.."[183].

لقد أخفقت الكاتبة عندما أقحمت عبارة "العشاء الأخير" في نصها، لا لشيء إلا لأن ذلك لا يوافق واقع الحال، حيث إن الكاتبة كانت مسترسلة في خطاب تصف فيه على لسان (شداد) الحالة التي وصلت إليها عائلة (سليم العطار)، وفجأةً، نقلتنا إلى قضية أخرى لا تمتّ إلى نص الرواية بصلة، فالعشاء الأخير لا يزيد كلما أخذوا منه كما تدعي الكاتبة عندما قالت: "كلما أخذوا منه زاد عطاؤه.."[184]، فقد ذُكر في الأناجيل أن سيدنا عيسى- عليه السلام- عندما التقى الاثني عشر رسولاً، قال لهم: اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم ثم أعطاهم الخبز، وقدم لهم النبيذ بكأسه ليشربوا منه جميعًا قبل أن يقدم نفسه قربانًا حيث يسفك دمه حماية لهم[185].

---

[183] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص161؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 1/ 105 و 144.

[184] ديمة السمان، م.س.، ص161.

[185] ينظر: إنجيل لوقا، 22/ 14-20.

وظفت الكاتبة قصة النبي موسى-عليه السلام- عندما قالت على لسان (عناد): "لا تستغربوا ما دامت الأعمار بيد الدّيان.. حكايتي غريبة لا يستوعبها عقل إنسان.. ألم تُلقِ أم النبي موسى بولدها في اليم فأنجاه الله؟؟"([186]).

وردت القصة في كتاب العهد القديم: "ذهب رجل إلى بيت لاوي وأخذ بنت لاوي، فحبلت المرأة وولدت ابنًا، ولما رأته حَسَنًا خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطًا من البردي وطلته باللون الأحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت حواريها ماشيات على جانب النهر، فرأت السفط بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته، ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين."([187]).

([186]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص49

([187]) العهد القديم، الخروج، الإصحاح الثاني، 1-7؛ وقد وردت القصة في القرآن الكريم، طه، 20/ 39، القصص، 28/ 7.

بينت بهذا التوظيف مدى البؤس الذي وصل إليه (عناد) عندما خرج من البحر ولم يجد من يمد له يد العون، فأُغلقت الأبواب في وجهه، بهذا تعمل مقارنة بين (عناد) وخروجه من البحر، وبين قصة سيدنا موسى- عليه السلام-، إلا أن توظيفها هنا جاء مُقحمًا.

وظفت ما تحمله من موروث ثقافي عندما قالت على لسان (عناد): "فثر يا جبل بركانًا.. وادفن الأحياء.. والفظِ الأموات وهدّم.. فما أخطأ شمشون حين دمر المعبد.."[188]

وقد ورد عن سيرة شمشون في العهد القديم: "فولدت المرأة ابنًا ودعت اسمه شمشون، فكبر الصبي وباركه الرب"[189].

وذكر أن شمشون قد تزوج من بنات فلسطين: "وأخبر أباه وأمه وقال قد رأيت امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين فالآن خذاها لي امرأة، فقال له أبوه وأمه أليس في بنات إخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى أنك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغُلفِ، فقال شمشون إياها خذ لي لأنها حسُنت في عيني"[190].

---

[188] ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص103.

[189] العهد القديم، قُضاة، الإصحاح الثالث عشر، 24.

[190] العهد القديم، قُضاة، الإصحاح الرابع عشر، 1.

وأصبح شمشون كاي واحد من الناس بعد أن حلقت (دليلة) شعره الذي كان مصدرًا لقوته فأسره الفلسطينيون وقلعوا عينيه، ولكن بعد فترة نبت شعره من جديد وعادت له قوته فانتقم من الفلسطينيين وقتل منهم في مماته أكثر مما قتل في حياته:

"وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائمًا عليهما وأسند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره، وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته..."(١٩١).

وظفت الكاتبة قصة شمشون لتبين لنا الحالة التي وصلت عند (عناد) الذي يمثل الثائر الفلسطيني، وهو هنا واحد من الشعب الذي يعاني وطأة الظلم المنصب على شعب فلسطين، الأمر الذي يدعو كل فرد من أفراد الشعب لمقاومة الاحتلال، ولا بأس أن يعرض نفسه للمخاطر في سبيل تحقيق مبتغاه، فقد فعلها شمشون فيما مضى وهو لم يخطئ عندما هدم المعبد على من فيه فقتل كثيرين وقتل نفسه.

(١٩١) العهد القديم، قُضاة، الإصحاح السادس عشر، 29-31.

ترى هل تبرر الكاتبة هنا كل أساليب الصراع مع العدو، وخصوصًا ما يتعلق بالعمليات الاستشهادية؟ فهذا شمشون اليهودي الذي قتل نفسه بهدم المعبد عليه وعلى من فيه من الفلسطينيين قبل آلاف السنين، وهو جزءٌ من الثقافة اليهودية، فلماذا ينكرون ذلك على غيرهم.

أفادت الكاتبة السرد الروائي بهذا التوظيف.

وظفت الكاتبة معلوماتها التاريخية عندما أشارت إلى الكنعانيين قائلة: "أحد أجدادك الكنعانيين"(192).

ومن أقدم الكتب التي ورد ذكر الكنعانيين فيها هو العهد القديم (التوراة) وقد ورد ذكرهم على النحو الآتي:

"أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشرارًا وخطاة لدى الرب جدًّا"(193).

تُشير الكاتبة إلى أصول الشعب الفلسطيني عبر التاريخ، وبأن هذا الشعب موجود على أرض كنعان من العصور القديمة، خصوصًا عندما

---

(192) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص8؛ تكرر هذا التوظيف في جناح ضاقت به السماء، ص62.

(193) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثالث عشر، 18-19؛ ينظر: رجا عبد الحليم عرابي، الكافي في تاريخ القدس، 93-102.

قالت: "صاحب السراج أحد أجدادك الكنعانيين.. جاء هنا ليدرس الحكمة من كتب الأقدمين.. على ضوء هذا السراج المنير.. أيام كانت الكتابة على العظام والجلود"([194]). وتشير التوراة في هذا السياق إلى أن اليهود قد حضروا إلى فلسطين (أرض كنعان) وكان فيها الكنعانيون الفلسطينيون، فقد ذكرتهم التوراة بالاسم: "فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط، وكان الكنعانيون والفرريون حينئذ ساكنين في الأرض، فقال أبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاني ورعانك، لأننا نحن أخوان، أليست كل الأرض أمامك اعتزل عني، إن ذهبت شمالاً فأنا يمينًا، وإن يمينًا أنا شمالاً"([195]).

وظفت الكاتبة هذا العبق التاريخي، واعتمدت عليه في بناء سردها الروائي، فجعلت منه أساسًا لذلك، وقد أجادت في هذا التوظيف وبينت لنا مقدرتها على دمج القديم بالحديث، هناك قبل آلاف السنين استعمرت أرض فلسطين الكنعانية من قبل يهود، وهنا في هذا الزمن الصعب، فقد استعمرت بلاد فلسطين الكنعانية من اليهود أنفسهم، فالكاتبة مزجت هذا الزمن المترامي الأبعاد في سردها الروائي.

([194]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص8.

([195]) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثالث عشر، 7- 9.

الفصل الثالث

توظيف التراث الأدبي

الفصل الثالث
توظيف التراث الأدبي

يتمثل هذا النمط من الحوارية في انفتاح روايات ديمة السمان على غيرها من النصوص الأدبية، الشعرية والنثرية، إلى جانب إيراد أقوال لأدباء وفلاسفة ومفكرين ومفسرين.

إن بناء حوارية في السياق الأدبي تحتاج إلى روائي مثقف، وهذا ما وجدته في روايات ديمة السمان، إذ كثيرًا ما يتم الاستشهاد بآراء الأدباء والفنانين والفلاسفة على لسان شخصيات الرواية المثقفة ما يعطي الرواية عمقًا كبيرًا، ويطرح أمام المتلقي آراء يجد نفسه شريكًا فيها.

وظفت الكاتبة الحوارية النصية، لتخدم الفكرة "التكتيكية" التي من شأنها خدمة أفكار الكاتبة الأساسية.

هنا تتناص في روايات ديمة، في بعض جزئيات المحكي فيها، مع نصوص روائية فلسطينية سابقة عليها، فالكاتبة، توظف ثقافتها الأدبية توظيفًا مفيدًا يجعل القارئ يسيح بانسياب بين فضاءات النص.

من الواضح أن الكاتبة متأثرة بشعر الحكمة والموعظة؛ وذلك من خلال توظيفها لشعر إبراهيم الصولي، عندما قالت: "الشدة تزول والفرج يأتي بعد ضيق"(196).

وقد استوحت هذا المعنى من قول الشاعر: (197)

كَمُلت فلما استحكمت حلقاتها　　　فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ

وقول الشافعي: (198)

صبرًا جميلاً ما أقرب الفرجا　　　من راقب الله في الأمور نجَا

من صدَّق الله لم ينله أذى　　　ومن رجاه يكون حيث رجَا

وورد هذا المعنى، أيضًا، في شعر الإمام علي- كرّم الله وجهه-:(199)

---

(196) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص32؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 183 و 187.

(197) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، اعتنى بنسخه وتصحيحه د.س. مرجليوث، 1923. 1/ 271؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة. 1/ 46 وقد استبدلت (كَمُلت) بـ (ضاقت).

(198) الشافعي، الديوان، ديوان شعره، جمعه وحققه وشرحه، أميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425/ 2005. ص61.

إذا النائباتُ بلغنَ المدى   وكادت تذوب لهُنَّ المُهجْ

وحلَّ البلاءُ وبان العزاءُ   فعند التناهي يكونُ الفرجْ

أفادت النص بتوظيف معاني هذه الأبيات الشعرية التي تحث على الصبر والتحمل، فجاء توظيفها بقيمة من القيم الإنسانية، ألا وهي الصبر على الشدائد. وعندما تقول: "وكيف تعرف صديقًا إذا لم تدخل في شدة!!؟"[200]، نجد هذا المعنى مستمدًّا من قول الشافعي:[201]

صديقٌ ليس ينفع يوم بؤسٍ   قريبٌ من عدوٍّ في القياسِ

وما يَبْقَى الصَّديقُ بِكلِّ عصرٍ   ولا الإخوانُ إلاَّ لِلتَّآسـي

استخدمت معاني هذا البيت الشعري الذي فيه الحكمة والتجربة، وفيه أيضًا معاني المواساة للنفس وللآخرين عندما تقع عليهم المصيبة، فيحاولون استثمار مصيبتهم في ما يفيدهم حتى ولو كانت الإفادة هنا معنوية، وقد وفقت الكاتبة في ذلك.

---

(199) الإمام علي، ديوانه، قدَّم له وشرحه صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت: دار مكتبة الهلال، 2003. ص53.

(200) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 34.

(201) الشافعي، ديوان الشافعي، جمعه وحققه وشرحه، أميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425هـ/ 2005م. ص 89.

وظفت الكاتبة ما تناقله الناس عن علاقة الثعلب بالإنسان وما يتصف به الثعلب من مكر ودهاء، وذلك عندما قالت في وصف إحدى شخصيات الرواية : "الحاج زهدي لقمان العجوز الثعلب.."(202).

أرادت رسم شخصية (الحاج زهدي لقمان) الشريرة، وتحديد طباعها للقارئ فقارنته بالثعلب، حتى تعرفنا بمدى خبثه، ومكره، وبأنه غير جدير بالثقة. ورد هذا المعنى، في كثير من القصائد الشعرية والنصوص النثرية، ومنها قول الشاعر: (203)

قد سمع الثعلب أهل القرى يدعون محتالاً بيا ثعلب

فقال حقًّا هذه غاية في الفخر لا تؤتى ولا تطلب

جاء وصف الكاتبة لهذه الشخصية وصفًا دقيقًا، بحيث يشعر القارئ أنه أمام شخصية حية تتحرك بلحمها ودمها.

وتجسد الكاتبة قيمة مهمة، وهي الوفاء، وعدم نكران الجميل، عندما قالت على لسان (عياش) في الضلع المفقود: "ولن تكون لي نذالة الجبناء لأكافئ معروفك أنت وجميع أهل أمي بالسيئة.."(204).

(202) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 37.

(203) أحمد شوقي، الشوقيات، بيروت: دار الفكر، (د.ت.).2/ 180.

(204) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 55.

فقد تعهده جده بالرعاية صغيرًا إلى أن شبَّ، وصلب عوده واشتدَّ، وعندما وقع في حب ابنة (المهراجا)، عرض حياة أهل أمه للخطر، فيؤكد لهم بأن لا يتسبب بأذيتهم، وقد استمدت هذا المعنى من قول للمتنبي:[205]

إذا أنتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ

وَإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا

مُضِرٌّ كَوضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

كان الحوار الجاري بين (عياش) وجده حول علاقة الأخير ببنت (المهراجا) مركزًا على مدى الخطورة على حياة (عياش) وأقاربه، لدرجة أن العجوز قال له: "احمد الله أن مشكلتك قد انتهت بدمعة فالدمع أرخص من الروح.."[206].

ورد هذا المعنى في شعر العباس بن الأحنف عندما قال:[207]

---

[205] المتنبي، شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوني، بيروت: دار الكتاب، 1425/ 2005. 1/ 257.

[206] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص58.

[207] العباس بن الأحنف، الديوان، بيروت: دار صادر، 1398/ 1978. ص297.

وراضي القلب غضبانِ اللسانِ له خلقان ما يتشابهانِ

هبي دمعي لعيني إن دمعي مطيعكِ يا ظلامُ وقد عصاني

فكيف تجنُّ عينا مستهامٍ بطول بكاهما تتبادرانِ

تبين الكاتبة استحالة العلاقة بين أبناء الفلاحين الفقراء وبنات الإقطاعيين الأغنياء في مجتمع طبقي الفجوة بين أبنائه واسعة جدًّا، مجسدة صورة حقيقية واقعية في مجتمعنا الفلسطيني عمومًا، والمقدسي خصوصًا، فالعائلات المقدسية معروف عنها أنها لا تقبل بمن هو غير مقدسي لخطبة بناتها، وبذلك تنقل لنا الكاتبة صورة حية عن واقع اجتماعي عنصري.

وعندما تفلسف الكاتبة بذكر علاقة العين بالقلب في رؤية الأشياء، وإدراك معانيها في القلب، نجدها تستوحي هذا المعنى من قول قريب للعباس بن الأحنف الذي يفرق بين علاقة القلب والعين: "القلب يحلم كما تحلم العين.. ولكن حلم العين يزول مع اليقظة.. أما حلم القلب فعيونه الخيال الذي يقرب البعيد ويسهل الصعب ويقلب الوهم حقيقة.."([208])، قال العباس في ذلك:([209])

فقَدَتْ عينيَ الحبيبَ فما أخـ وفَني أن تكون أشقى العيونِ

([208]) ديمة السمان،م.س.، ص59.

([209]) العباس بن الأحنف، م.س.، ص295.

ذكرهُ لازمٌ لِقلبي ولا عهـ ـدَ لعيني بوجهه منذُ حينِ

وبهذا أرادت الكاتبة إظهار حالة العشق عند (عيّاش) فكانت موفقة.

وتتكئ الكاتبة في بعض معانيها على أمثلة مستمدة من الشعر كما في قولها: "وهل يصلح العطار ما أفسدَ الدهر"[210].

ورد هذا القول في قصيدة لصفي الدين الحلي يرثي بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[211] في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة للهجرة والتي مطلعها:[212]

وَفَى ليَ فيكَ الدمعُ إذ خانني الصبرُ

وأنجد فيكَ النظمُ إذ خُذِل النصرُ

---

[210] ديمة السمان، الضلع المفقود، 73.

[211] محمد بن قلاوون: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح: من كبار الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة، وولي سلطنة مصر والشام سنة693هـ، ثم خُلع منها لحداثة سنه، وأعيد للسلطنة بمصر سنة 698هـ، أقام في الكرك فترة ثم رجع إلى مصر وحارب الملك المظفر بيبرس وقتله بيديه فاستعاد عرش مصر، واستمر 32 سنة، فعمَّر عمرانًا كثيرة، توفي بالقاهرة سنة 741هـ. الزركلي، الأعلام، ط17، بيروت: دار العلم للملايين، 2007 /7 11.

[212] صفي الدين الحلي، ديوانه، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر و دار صادر للطباعة والنشر، 1382/ 1962. ص377-379.

أما بيت الشعر الذي ورد فيه القول المذكور آنفًا فهو:

ورامُوا بأنواع العقاقير بُرأَهُ

وهل يُصلح العطّار ما أفسد الدّهرُ

وظفت هذا الشعر في نصها الروائي توظيفًا ضعيفًا؛ فابتعدت عن مراميه التي لم تتلاءم مع المعنى المقصود في النص الروائي للكاتبة، فالحوار الذي دار بين شخصيتي الرواية (عياش) و(مريم) لا يناسبه استشهاد الكاتبة بعجز البيت المذكور أعلاه.

ويتكرر توظيفها لمعاني شعر العباس بن الأحنف عندما قالت على لسان جد عياش، وقد هدفت الكاتبة إلى إثبات وقع الحب على عياش ومريم، وبأنه لا يمكن إخفاؤه عن الناس، حيث إن العيون تفضح ما في القلب "فالعين لسان ثرثار تفضح المشاعر ولا تجيد إخفاء المشاعر"(213).

ذكر هذا المعنى في البيتين الآتيين:(214)

سأسكتُ كيلا يعلمَ الناسُ منطقي

ونسلَمَ من أهلِ الوشايةِ والظنِّ

(213) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص74.

(214) العباس بن الأحنف، الديوان، ص307.

ألا قد جنى طرفي عليَّ بليةً

أعوذ بك اللهمّ من شرّ ما يجني

تريد القول بأن حالة الحب التي تعيشها (عائشة) قد وصلت إلى درجة الهيام بحيث لا تستطيع إخفاء مشاعرها مهما حاولت لأن العيون لا يمكن لها أن تستر هذا الحب.

ونراها تستخدم ألفاظًا مستقاة من شعر الحكمة في قولها: "وأمام العلم يصغر الجهل"([215]). ورد هذا المعنى في قول الشافعي:([216])

رأيتُ العلمَ صاحبُهُ كريمٌ ولو ولدته آباءٌ لِئامُ

فلولا العلمُ ما سعدتْ رجالُ ولا عُرِفَ الحلالُ ولا الحرامُ

تبين الكاتبة أهمية العلم ودور العلماء في بناء وخدمة المجتمع، وتحث أصحاب العلم بأن لا يبخلوا على قومهم بعلمهم.

استنبطت من الشعر العربي قولها: "كان هذا الشعر يحاكي الليل في سواده.. كان غزيرًا يصل نهاية ظهري.. ولكن عبثت به يد الزمان وأعطته لونًا أبيض رمز الحكمة.."([217]).

([215]) ديمة السمان، م.س.، ص123.

([216]) الإمام الشافعي، ديوانه، ص132.

([217]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص125.

وقد ورد هذا المعنى في أبيات شعر قالها الخليفة العباسي المستنجد بالله:([218])

عيرتني بالشيب وهو وقارُ   ليتها عيّرت بما هو عارُ

إن يكن شابت الذوائب مني   فالليالي تزينها الأقمارُ

تُجيب على لسان أمينة عندما استغرب عيّاش من حكمتها وقد حملت الكثير من الحكمة في رأسها الأشيب، قائلة له بأن لا يغتر ولا ينظر إلى هذا الشيب إلا نظرة تقدير واحترام، لما مرَّت به من تجارب أكسبتها الحكمة وحُسن تقدير للأمور، فكان توظيفها لمعاني الشعر المذكور، توظيفًا حسنًا.

استمدت من التراث الشعري العربي عندما قالت على لسان (أمينة): "ركام بيت آل العطار أحب إليَّ من قصور الدنيا كلها"([219]).

وقد وردت هذه الألفاظ في قول ميسون([220]) بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان:([221])

([218]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، خرَّج آياته وعلَّق عليه واعتنى به نعيم حسين زرزور، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، 1428/ 2007. 4/ 421.

([219]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص277. تكرر ذلك في رواية القافلة ص 112.

([220]) ينظر: الجاحظ، الحيوان، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م. 1/ 116؛ الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب حواشيه عبد أ. علي مهنا،

لبيتٍ تخفق الأرياح فيهِ أحب إليَّ من قصر منيفِ

ولُبس عباءةٍ وتقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لبسِ الشُّفُوفِ

وظفت الكاتبة هذه الألفاظ للتعبير عن مقدار تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه وبيته، بعد أن قامت وتقوم سلطات الاحتلال بهدم بيوت الفلسطينيين بحجج مختلفة، وذرائع واهية، وهنا فإن الكاتبة تجسد هذا التمسك، معتمدة على هذا الشعر المعبر عن قيمة الوطن في نفسية الإنسان العربي، وقد نجحت الكاتبة في توصيل فكرتها بطريقة سلسة عندما مزجت الألفاظ بسردها الروائي.

جاءت الكاتبة على ذكر قيس (مجنون ليلى) عندما قالت على لسان (صابر): "وما كان قيس متيمًا أكثر مني"[222]؛ وذلك في رده على زوجته (حسناء) وهي تداعبه بغيرتها عليه، وقصة قيس معروفة بشهرتها حتى أن الناس يستشهدون بها عندما يريدون إظهار مقدار حبهم، وقد وصف والد قيس هذا الحب بقوله: "كان آثر عندي من أولادي جميعًا، وإنه

ط2، بيروت: دار الفكر، (د.ت.). 16/ 47؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه ورتب فهارسه، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت.). 4/ 357؛ الزركلي، الأعلام، 7/ 339.

([221]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب (مسن).

([222]) ديمة السمان، القافلة، ص 82.

عشق امرأة من قومه لم تكن تطمع في مثله، ولكن أباها زوّجها غيره، ففقد الفتى عقله، فكان لا يلبس ثوبًا إلا خرّقه، وراح يلعب بالتراب عاريًا، وترك الصلاة، فإذا قيل له: ما لك لا تصلي؟ لم يرد حرفًا... وكنا نحبسه ونقيده في بادئ الأمر حتى خشينا عليه، فخلّينا سبيله، وهو الآن يهيم على وجهه."[223] من أشعاره:[224]

أُحبك يا ليلى وأُفرط في حبي
وتُبدين لي هَجراً على البُعدِ والقربِ

وأهواك يا ليلى هوى لو تنَسّمَتْ
نفوسُ الورى أدناهُ صِحْنَ من الكربِ

شكوت إليها الشوق سرًّا وجهرةً
وبُحْتُ بما ألقاهُ من شدَّة الحبِّ

نلمس في هذه الأبيات مقدار الحب الذي يعتمل في صدر (قيس)، إضافة إلى قصته كما رواها أبوه، باستخدامها هذا التوظيف خلال حوار

---

(223) قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، قدَّمه وشرحه، مجيد طرَّاد، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1416/ 1996 ص8.

(224) قيس بن الملوح، م.س.، ص47-48.

بين شخصيات الرواية (صابر) و(حسناء) تُخبرنا بحالة العشق بينهما، وامتزج التوظيف مع الحوار الروائي بشكل عفوي.

وظفت الكاتبة ما تواردە الشعر العربي بما يتعلق باستخدام الإبل والنوق كمهر لعروس أو كثمن باهظ لخدمة يؤديها أحدهم؛ وذلك عندما قالت على لسان (الكاهنة): "دليل براءة صابر عندي.. لكن الثمن غالٍ يا شيخ... ألف ناقة حلوب يا شيخ"[225].

فالإبل أثمن ما يملكه البدوي في الصحراء، وقد ورد هذا الطلب في سيرة (عنترة) عندما طلب عمه ألف ناقة عصافيرية مهرًا لـ(عبلة):

"أريد ألف ناقة من النوق العصافير من نوق الملك المنذر بن ماء السماء اللخمي حتى تفتخر بها ابنتي على سائر بنات العرب.."[226]، فذهب وحده إلى أرض الملك المنذر، وهناك تغلبت الكثرة على الشجاعة وقبض عليه وأودع السجن، وقد قال شعرًا حسنًا في هذا الأمر:[227]

طغاني بالريا والمكر عمّي　　وجار عليَّ في طلب الصداقِ

فخضت بمهجتي بحر المنايا　　وسرتُ إلى العراق بلا رفاقِ

---

[225] ديمة السمان، القافلة، ص68.

[226] عمر أبو النصر، عنتر بن شداد، 1/ 67.

[227] عنترة، ديوان عنترة، ص175.

وسُقتُ النوق والرُعيانَ وحدي وعُدْتُ أُجد من نارِ اشتياقي

نلاحظ بأن المطالب تأتي تعجيزية، وصعبة، ولكن شدة حاجة المطلوب منه هي التي تدفعه إلى المخاطر من أجل الحصول على المطلوب، وقد وظفت الكاتبة هذا الأمر الذي استمدته من الشعر العربي وشعر عنترة هنا مثال على ذلك، فكان توظيفها موفقًا، صورت من خلاله صعوبة الحياة الصحراوية وقسوة أهلها على بعضهم، ونجحت بنقل القارئ إلى البيئة الصحراوية بشكل سلس دون تكلف.

استمدت الحكمة من الشعر العربي بقولها: "إذا هبّت رياحك فاغتنمها"(228)، فوظفتها للحث على اغتنام الفرصة التي تتاح، ويشكل هذا القول صدر بيت الشعر الآتي:(229)

إذا هبّت رياحُكَ فاغتنمها فعقبى كلِّ خافِقةٍ سكونُ

ولا تغفلْ عن الإحسانِ فيها فلا تدري السكونُ متى يكونُ

(228) ديمة السمان، القافلة، ص147.

(229) الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، 140؛ الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، 1/ 174 نُسب إلى شاعر (مجهول)؛ أميل ربيع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، 6/ 215. نُسب إلى شاعر (مجهول).

اعتمدت الكاتبة على هذا التوظيف، لإكساب سردها الروائي جمال الحكمة والجدية والموعظة الحسنة، حيث أجادت في توظيفها، وأدخلتنا إلى عمق الفكرة لنعيش مع الرواية حياة أخرى.

ولم تبتعد عن الحكمة، أيضًا، في توظيفها لقول (المتنبي) عندما قالت: "إن هذا القول الذي تنكرينه يا صاحبة السمو أشبه ما يكون بقول الشاعر.. أنا من نظر الأعمى إلى شعري وأسمعت كلماتي من به صمم"[230]. هذا الشعر، من قصيدة يعاتب فيها المتنبي (سيف الدولة الحمداني) التي مطلعها:[231]

وأَحَرَّ قلباه ممن قلبه شبمُ ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمَعَتْ كلماتي من به صممُ

أنام ملء جفوني عن شوارِدِها ويسهر الخلقُ جَرّاها ويختصمُ

وظفت هذا الشعر، محاولة منها في دعم الحوار بين (عناد) و(الأميرة)، إلا أنها لم تكن موفقة بهذا التوظيف، فبيت الشعر هذا من أشهر ما قاله المتنبي، ولكن موضوع الحوار الذي دار بين شخصيات الرواية سابقة

---

(230) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص62.

(231) المتنبي، شرح ديوان المتنبي، ص290.

الذكر، لم يكن على مستوى هذا الشعر من الإبداع ولم يقترب حتى من مستواه الدلالي.

يتكرر الاستشهاد بشعر الحكمة العربية، بقولها: "يا صاحب الجلالة.. لو قلت لك من أبي وحدثتك عن حسبي ونسبي فهل ستعرفني؟ سأبقى علامة محيرة على جزيرتك يا مولاي.. لا يمحوها سوى عملي."(232).

ورد هذا المعنى في شعر ابن الوردي، عندما قال يوصي ابنه:(233).

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا ... إنما أصل الفتى ما قد حصلْ

إنما الوردُ من الشوك وما ... ينْبُتُ النرجسُ إلا من بصلْ

قيمة الإنسان ما يُحسنُهُ ... أكثرَ الإنسانُ منهُ أمْ أقلْ

أرادت إبراز اعتداد الشخصية بنفسها، وأن قيمة الإنسان بعمله لا بحسبه، وهي ترد بذلك على ظاهرة العصبية القبلية الموجودة في مجتمعاتنا العربية، وأظنها قد نجحت في هذا التوظيف.

ولم يغب عن بال الكاتبة توظيف الشعر الفلسطيني عندما قالت:

---

(232) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 67.

(233) محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 229- 232؛ إميل ناصيف، أروع ما قيل من الوصايا، 154؛ حسن نمر دندشي، معجم الأبيات الشهيرة، 172.

"تقولين حب الأرض.. حب الوطن.. الحب هذه الأيام يباع ويشترى.. والوطن تراب أينما سرت تجدينه."([234])

وقد وردت هذه الألفاظ في قصيدة المرحوم إبراهيم طوقان (تفاؤل وأمل)، والتي مطلعها:([235])

كفكف دموعَكَ، ليس ينـ ـفعك البكاء ولا العويل



وطن يباع ويشترى وتصيح فليحيا الوطن؟!

لو كنت تبغي خيره لبذلت من دمك الثمن

استعانت الكاتبة بألفاظ الشاعر الفلسطيني الراحل إبراهيم طوقان، تلك الألفاظ التي تعبر عن محبة الإنسان الفلسطيني لأرضه، ومدى تقديره لترابه الطاهر، لكنها جعلت (الضابط الإنجليزي) هو الذي يردد الألفاظ الشعرية لشاعرنا، وكنت أظن بأن (حسناء) والدة الشهداء والأسرى هي التي تعبر عن نبض كل أم فلسطينية عاشت مرحلة المقاومة والنضال عبر سنين المواجهة الطويلة، وليس على لسان ضابط إنجليزي متغطرس، لذلك فقد خرجت الكلمات من فمه معجونة

([234]) ديمة السمان، القافلة، ص 178.

([235]) إبراهيم طوقان، ديوان إبراهيم، ص 20.

بسخرية من بيده السطوة، إلا أن استخدام الكاتبة للألفاظ الشعرية جاء موفقًا بكل الأحوال، وخدم النص الروائي.

كما وظفت الكاتبة الأغنية الشعبية عندما (زغردت حسناء) قائلة: "أويها يا وطن الثوار أطلب.. أتاك عدنان ملفعا بعلم الأحرار.. أويها يا وطن الثوار أطلب.. حمدان وسلطان في الانتظار.. أويها يا وطن الثوار أطلب.. فالروح رخيصة عليك يا أرض السلام."[236]

وقد استمدت الكاتبة كلماتها من الشعر الشعبي الفلسطيني، الذي كان يتغنى ببطولات الثوار، ويمجد الشهداء الأبرار ومثال على ذلك؛ ما جاء في موسوعة الفلكلور الفلسطيني للشاعر الشعبي نوح إبراهيم:[237]

"لأجل حرية وطني/ مات واستشهد ابني[238]

يا ريت إلي ولد ثاني/ حتى أقدمه هدية"

---

[236] ديمة السمان، القافلة، ص196.

[237] نوح إبراهيم: ولد في مدينة حيفا 1913، وتلقى فيها دراسته الابتدائية، تفتحت فيه روح الشاعر الشعبي في سن مبكرة، اعتقلته السلطات البريطانية بسبب قصائده، وحظرت نشر أشعاره في كتاب، التحق بصفوف ثورة عز الدين القسّام، واشترك في معارك جبال الجليل واستشهد في معركة حول قرية طمرة ودفن فيها العام 1937.

- أحمد شاهين، موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين، 823.

[238] نمر سرحان، موسوعة الفلكلور الفلسطيني، ص521.

وقال أيضًا:

"رجال أقسموا يمين/ يضحوا الغالي والثمين

في سبيل فلسطين/ مهما صادفهم أخطار"

لقد استخدمت الكاتبة معاني هذه الأبيات في (زغرودة حسناء أم الشهيد)، أما عن الزغرودة في هذه الحالة، فقد اعتادت بعض أمهات الشهداء من القيام بهذا الفعل، عندما يأتيهن خبر استشهاد أحد أبنائهن وخصوصًا في زمن الانتفاضة الفلسطينية المباركة، حيث كانت تلك الأمهات تعتز بأن أبناءهن من الأبطال المقاومين، إلا أن الغرب لم يفهم هذه المعادلة بين الأم الثكلى وبين الشهيد الذي يضحي بدمه رخيصًا في سبيل رفعة وحرية الوطن؛ نجد الضابط الإنجليزي يخاطب زوجة الشهيد وأم الأسير قائلاً: "إذا كان الوطن غاليًا بهذا القدر.. فلم تسألين عن زوجك؟ لقد ذهب فداء الوطن"(239).

هو لم يفهم تلك العلاقة، فيتحدث بسخرية واستهزاء، وقد أجابته حسناء بحزم أمّ ثابتة هي بمثابة كل أم فلسطينية نشّأت أبناءها على

(239) ديمة السمان، القافلة، ص178.

الاعتزاز بحب الوطن قائلة له: "كي أعدَّ أولادي ليسيروا على درب أبيهم"([240]).

وقد استطاعت الكاتبة نقل الصورة الحية لحالة استشهادية، من خلال توظيف الكلمات، والمعاني والسياق الشعري للشعراء الشعبيين.

لقد وظفت الكاتبة معاني الألفاظ الشعرية عندما قالت على لسان (الأميرة): "لأنه كان يحرمك الحب.. لا تلمه يا عناد .. فكيف تنام عين وأنت فيها؟ وكيف يهدأ حب.. وأنت دقات القلب.. والنار أنت مذكيها؟ أنظر إلى عيني تعرف الحقيقة"([241])

ورد هذا المعنى في شعر (ابن حزم) عندما قال في (طوق الحمامة) في باب علامات الحب:([242])

تعلَّمتِ السَّحائِبُ من شُؤُوني فَعَمَّتْ بالحَيَا السَّكْبِ الهَتونِ
وهذا الليلُ فيكَ غدا رفيقي بذلكَ أمْ على سَهري مُعيني
فإنْ لمْ يَنْقضِ الإظلامُ إلا إذا ما أُطبِقَتْ نَومًا جُفُوني

([240]) ديمة السمان، م.س.، 178.

([241]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 188.

([242]) ابن حزم، طوق الحمامة، شكله وعلق حواشيها وقدم له ووضع فهارسه، نزار وجيه فلُّوح، صيدا، بيروت: المطبعة العصرية، الدار النموذجية، 1429هـ/ 2008م. ص 59.

فليسَ إلى النَّهارِ لنا سبيلُ   وسُهدٌ زَائدٌ في كلِّ حينِ

كأن نُجومَهُ والغيمُ يُخفي   سَناها عن مُلاحظةِ العُيون

وظفت الكاتبة معاني الآبيات آنفة الذكر، لتبين حالة الحب التي كانت بين (عناد) و(الأميرة)، وقد أجادت في هذا التوظيف ورسمت لنا صورة حية، فكان سردها الروائي وحوار شخصياتها مقنعًا.

كما وظفت الكاتبة معاني أبيات (زهير بن أبي سُلمى) عندما قالت على لسان (عبود): "تتسلى بعواطف من أحبتك يا عبود؟ تقتل من أنقذت حياتك من الموت يا عبود؟ لا يليق بك أكثر من كلمة عيب"[243]

ورد هذا المعنى في معلقة زهير عندما قال:[244]

ومن يجعل المعروف في غير أهله   يكن حمده ذمًّا عليه ويندم

وظفت معاني هذه الأبيات لتبين لنا أهمية المحافظة على العهد، وضرورة مقابلة الجميل بالجميل والإحسان بالإحسان، وقد جاء هذا التوظيف على لسان (عناد) الذي أخذ ضميره يؤنبه بسبب تفكيره بالابتعاد عن الفتاة التي أحبته وأنقذت حياته، وهو بدوره فكر بالابتعاد

(243) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص49.

(244) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص80.

عنها ليكون كما قال الشاعر في بيتي الشعر آنفي الذكر، فأجادت بهذا التوظيف الذي جاء متوافقًا مع الفكرة وملائمًا لمعناها.

وظفت الكاتبة بعضا من ألفاظ (جبران خليل جبران) عندما قالت على لسان (الأب): "فراشك الأرض ولحافك السماء"(245)

وقد ورد هذا اللفظ بمعناه في (قصيدة المواكب):(246)

هل فرشت العشب ليلاً وتلحّفت الفضا

زاهدا فيما سيأتي ناسيًا ما قد مضى

تنقل لنا على لسان والد (عبود) ما تفكر به، بأن حالة الشاب الفلسطيني المقاوم هي حالة خاصة تتحكم بها الظروف الصعبة المحيطة بالثوار، فالزمن يعلم الثوار الخشونة، والصلابة، وشدة التحمل، فينامون على الأرض بلا سرير أو عواطف، وتكون الأرض أحيانًا مفروشة بالقتلى وغارقة بالدماء، وحتى النساء في فلسطين تخلين عن النعومة فلم تعد ملائمة لهنَّ، وهذا تصوير للواقع الفلسطيني، وباستخدام الكاتبة لألفاظ من شعر (جبران) قد أفادت النص.

(245) ديمة السمان، م.س.، 133.

(246) جبران خليل جبران، موسوعة جبران خليل جبران العربية، ص342.

وظفت الكاتبة الألفاظ التي تحمل في طياتها الدلالات والمعاني الشعرية عندما قالت على لسان (الأستاذ حيدر): "فلا بد لليل من آخر"[247].

وقد ورد معنى هذا اللفظ في شعر أبي القاسم الشابي عندما قال:[248]

إذا الشعب يوماً أراد الحياة   فلا بدَّ أن يستجيب القدرْ

ولا بدَّ لليل أن ينجلي   ولا بد للقيد أن ينكسرْ

خلال هذا التوظيف تظهر الدرجة العالية من استعداد المثقف العربي والفلسطيني لدعم "ثورة" الحسين بن علي على الأتراك، وهو مثال حي على حماسة الشباب العربي في ذلك الزمن في مواجهة الظلم والطغيان، فتصور المعاناة الشديدة التي كانت تعانيها الشعوب العربية الإسلامية من ضغوطات الحكومة التركية، إلا إن الإنسان البسيط كان مدركًا بفطرته الساذجة عمق الصراع؛ وذلك يتمثل بما قالته الكاتبة على لسان (عبد الجبار): "إن هذا القول تحريض للمسلم على المسلم"[249]،

---

[247] ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 161.

[248] أبو القاسم الشابي، ديوان أبي القاسم الشابي أغاني الحياة، شرحه وضبط نصوصه وقدَّم له عمر فاروق الطَّباع، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (د.ت.). 77.

[249] ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 161.

والبعض كان خائفًا من الوقوع بالإثم من معاداة المسلمين بعضهم لبعض، خصوصًا عندما قال أحدهم: "وإذا كان الله يؤخر الحساب إلى يوم القيامة"([250]).

ورد هذا اللفظ في شعر زهير بن أبي سُلمى:([251])

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

كان للاندفاع الحماسي الأثر الأعظم في هزيمة الأمة العربية من خلال كسر القوة التركية من الداخل العربي، عن طريق ما يسمى بالثورة العربية الكبرى، لقد استفاد النص الروائي من هذا الحوار ومن التوظيف للألفاظ الشعرية سالفة الذكر، وجعلت من النص الروائي وثيقة علمية نتعلم من خلالها ما كان يدور على الساحة العربية من مؤامرات استعمارية مدروسة بعناية فائقة.

تشير الكاتبة إلى حالة الشؤم التي سادت على الرغم من دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني عندما تقول

([250]) ديمة السمان، م.ن.، 1/ 162.

([251]) الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، بيروت: دار الفكر، 1411/ 1990، 1/ 275.

على لسان (أبو رعد): "ليس عندي من جواب سوى قول الشاعر هذا.. ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً.. والأيام بيننا يا أبا الطاهر ."[252]

وقد ورد هذا الشعر في معلقة طرفة بن العبد إذ يقول:[253]

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزوِّدِ

ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تَبعْ له

بتاتًا ولم تضرِب له وقتَ موعِدِ

وقد وظفت الكاتبة هذا الشعر لتبين لنا ضيق الناس مما يحدث على الأرض الفلسطينية آنذاك، فعززت فكرتها بهذا التوظيف الذي أثرى النص اللغوي ومكن المتلقي من استحضار الصورة التي تشبه كثيرًا الحالة السياسية في وقتنا الراهن، تلك الحالة التي لا تفاؤل فيها...

ضمَّنت الكاتبة في سردها الروائي شعر (المتنبي) عندما قالت على لسان (أبو عبد الجبار): "والشاعر يقول: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى.. حتى يراق على جوانبه الدم"[254].

---

[252] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 6.

[253] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، شرحه وضبط نصوصه وقدَّم له عمر فاروق الطبَّاع، بيروت: دار القلم (د.ت.)، 43

وقد ورد هذا البيت الشعري ضمن قصيدة للمتنبي:([255])

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يُراق على جوانبِهِ الدَّمُ

استخدمت الكاتبة هذا الشعر لتبين مقدار الخوف الذي اعترى الناس عندما تناهى إلى مسامعهم بأن اليهود قد سيطروا على المدينة، واحتمال اقتحام البيوت ؛ الأمر الذي من الممكن أن يعرض شرف الناس للخطر، وأن يجلب لهم ذلك العار إذا ما تعرض جنود اليهود إلى نسائهم، ما دفع بالرجال للتفكير بالتخلص من النساء حفاظًا على الكرامة والشرف بحسب المعنى الظاهر للنص، لكنها ذكرت ذلك استهجانًا وليس استحسانًا وتأييدًا للفكرة، خصوصًا وأنها وضعت الأم كأول امرأة توضع على ذلك المحك، فمن باستطاعته أن يقتل أمه؟! أظن لا أحد بإمكانه فعل هذا الأمر مهما كانت الأسباب، وهنا نجد نقدًا واضحًا للمجتمع الذي يحمل مثل هذه الأفكار المتخلفة، وقد وُفقت الكاتبة في توظيف هذا الشعر الذي خدم الفكرة وعزز السرد الفني للنص الروائي.

([254]) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 38.

([255]) المتنبي، شرح ديوان المتنبي، 2/ 396.

تطرقت الكاتبة لذكر هالة السلطان، ونفوذه، وسطوته ، وهي إشارة إلى الطمع الذي يتحكم في نفسية بعض القيادات عندما يصلون إلى سدة الحكم، ما يؤدي إلى تنافس شديد بين أصحاب النفوذ على السلطة، لا لخدمة المجتمع، ولكن للتمتع بمزايا السلطة ومكاسبها، بقولها: "إنك لم تتعرف على السلطان وهالة الحكم حتى تعرف إلى أي مدى يمكن أن تصل بالحكم"[256].

وتعريف السلطان كما ورد في العقد الفريد: "السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده، به يمتنع حريمهم، وينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم."[257].

وظفت الكاتبة المعاني المستفادة من قصة "اللبؤة والإسوار والشغبر" وهي من قصص "كليلة ودمنة"، عندما قالت: "حكمت على نفسك بالموت يا قوي العضل صغير العقل.. فالذي أباح لك الدفاع عن

---

[256] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص142.

[257] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1/ 20.

زوجتك وأشبالك يبيح لها الدفاع عن زوجها وأطفالها.. وماذا تفعل أيها المسكين إذا كانت حماية أسرتها هي سرّ يكمن في أنيابها؟"[258].

وقد ورد هذا النص في كتاب كليلة ودمنة : "قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي مثلاً في شأن من يدع ضر غيره إذا قدر عليه لما يصيبه من الضر، ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره."[259].

أرادت القول؛ بأن الوسائل جميعها مباحة في الدفاع عن النفس والأسرة والمجتمع، بل إنها تشير إلى حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال باستخدام شتى الوسائل الممكنة، فمقاومة الاحتلال ضرورة حتمية لشعب فلسطين، حتى يحقق آماله وأحلامه في الحرية والاستقلال، فجاء التوظيف مناسبًا، وحقق الهدف المرجو منه.

تحدثت الكاتبة عن الحب، على لسان (صابر) في حواره مع (عبدون) ساعة النزال بينهما: "أن تعيش على الحب خير من أن تموت دونه.."[260]. وجدتُ هذا المعنى في طوق الحمامة: "محبة العشق الصحيح المتمكن من

---

[258] ديمة السمان، م.س.، ص238.

[259] بيدبا، كليلة ودمنة، 306.

[260] ديمة السمان، القافلة، ص52.

النفس، هي التي لا فناء لها إلا بالموت، وإنك لتجد الإنسان السالي بزعمه، وإذا السن المتناهية، إذا ذكَّرته تذكَّر وارتاح وصبا، واعتاده الطرب واهتاج له الحنين."(261).

وظفت الكاتبة هذا المفهوم مستمدة ذلك مما ورد في طوق الحمامة، للتعبير عن أهمية الحب وما يفعله في الإنسان، لدرجة أن المحب على استعداد لتقديم حياته في سبيل من يحب، وهي، أي الكاتبة، تريد بهذا التوظيف تصوير حالة (صابر)، والمواجهة بينه وبين (عبدون) الشخصية الشريرة، الذي تسبب بكثير من الإزعاج لقبيلة (حسناء) ابنة (الشيخ صالح)، فنجحت في بلوغ الغاية من هذا الاستخدام، وعززت نصها بما يلمس مشاعر القارئ، ووفر عنصر التشويق.

استخدمت الكاتبة اسم قيس بن الملوح قائلة على لسان (عبدون):

"يبدو أن الرجل غريب ديار.. فهل يجهل حب أهل الصحراء.. ألم تسمع "بالمجنون" قيس وليلى.. وعنترة ولبنى؟"(262).

وظفت الكاتبة أسماء بعض المحبين عند العرب، قيس بن الملوح حبيبته ليلى، وعنترة وحبيبته عبلة، لكنها ذكرت بالخطأ اسمًا غير صحيح

---

(261) ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والأُلاف، ص50.

(262) ديمة السمان، القافلة، 52؛ وقد تكرر هذا التوظيف في صفحة 184، مستخدمة اللفظ نفسه.

لحبيبة عنترة، فقد ذكرت أنها (لبنى) بينما الصحيح هو (عبلة)[263]، فلم تتوخ الدقة هنا، أما مجنون ليلى، فهو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عُدس بن ربيعة[264]، وأرادت بهذا التوظيف إظهار بأن الصحراء كامنة بقصص المحبين الذين يُذكرون عبر التاريخ، وأن هذا من صفات أهل الصحراء، فالحب عندهم عميق عمق التاريخ، فنجحت في هذا التوظيف على الرغم من أنها لم تتوخ الدقة في ذكر بعض الأسماء.

وظفت الكاتبة الحكمة والموعظة في سردها الروائي عندما قالت على لسان (القبطان): "يا ولدي لا تحزن.. فيوم لك ويوم عليك.. هكذا الدنيا.. والأيام أمامك"[265].

فعززت سردها الروائي باستخدام الحكمة والموعظة، كما وردت في قول الإمام علي- كرم الله وجهه: "والدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تُبطر، وإذا كان عليك فاصبر."[266]، واستطاعت إضفاء جوٍّ من الهدوء المصاحب لفضاء الحكمة، والنصيحة، والحث على الصبر، والتحمل، والتكيّف، فأجادت بهذا الاستخدام الذي انسجم مع النسيج

---

[263] ينظر:عنترة، ديوان عنترة، ص8.

[264] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 2/ 3.

[265] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص5.

[266] علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص397.

الروائي، لدرجة أن القارئ لم يميز بسهولة هذا التماهي مابين النص والتوظيف النثري.

وظفت الكاتبة ما ورد عن الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- عندما قالت على لسان (عناد): "فاحذروا.. وعلموا أولادكم فنون القتال حتى لا تكونوا عبيدًا أذلاء يستبد بكم الغزاة.."([267]).

ورد هذا القول في عبقرية عمر: "كان يصارع في المواسم ويسابق على الخيل، وكان ينوط مجد العرب بالرياضة والفروسية ويكتب إلى الأمصار أن "علّموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن الشعر، ولا يفتأ يذكرهم أنه، لن تخور قوى ما دام صاحبها ينزع وينزو، أي يرمي بالقوس ويركب ظهور الخيل بغير ركاب"([268]).

تبين الكاتبة أهمية إعداد الإنسان لمواجهة المخاطر، وتصور ضعف أهل تلك (الجزيرة)، وهي هنا تستخدم الرمز، فالجزيرة هي المعادل الموضوعي لفلسطين، التي ترزح تحت الاحتلال، إلا أن شعب فلسطين لا يعطي قضية الإعداد حقها كما يجب. أرى أن الكاتبة وظفت هذا القول بطريقة مفيدة ارتقت بمستوى نصها.

([267]) ديمة السمان، م.س.، ص162.

([268]) عباس العقاد، عبقرية عمر، ص195.

وظفت الكاتبة اللفظ العربي المستمد من خطب العرب، عندما قالت على لسان (الخال): " فما فات مات"[269].

استمدت هذا اللفظ من خطبة قس بن ساعدة الأيادي عندما قال: "أيها الناس: اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، ليلٌ داج، ونهار ساج، وسماءٌ ذات أبراج ونجوم تزهر، وبحار تزخر"[270].

استعانت بالحكمة التي من شأنها وعظ (عناد)، وحثه على التمسك بوعده بهذا التوظيف دعّمت فكرتها من جهة، و أثرت السرد الروائي.

وظفت الكاتبة الموروث القيَمي المستمد من التاريخ العربي الاجتماعي المتصل بسلوك المجتمع والفرد، خصوصًا ما يتعلق بالكرم، قولها: "فهل أكرم بطعامي ومائي.. وأخاطر بحياتي.. والكرم العربي؟؟ اتركيه لحاتم[271] الطائي"[272].

---

(269) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص181.

(270) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، 1/ 35.

(271)حاتم الطائي: هو حاتم بن عبد الله بن حشرج بن طيء وكانت أمه غنية ومن أسخى الناس وأقراهم للضيف، وكان حاتم من شعراء العرب وكانت بنته سفانة أيضًا سخية يعطيها أبوها الإبل فتعطيها للناس، فقال لها حاتم: "يا بنية إن القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي. وكان حاتم من شعراء العرب، وكان جوادًا، يصدق قوله فعله، وشجاعًا إذا قاتل

وظفت الكاتبة ما جاء في كليلة ودمنة عندما قالت على لسان (حمدان): "الثعلب صغير يا عمي.. لكنه يسخر من أسد الغاب.."([273]). لكن الذي سخر من الأسد هو الأرنب، الذي صرع بذكائه الأسد، فقد قال دمنة: "إن الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه ولكنه مقرٌّ لي بالفضل، وأنا خليق أن أصرعه كما صَرَعتِ الأرنبُ الأسدَ."([274])

استخدمت هذا التوظيف على لسان (حمدان)، لإعطاء فكرة للقارئ عن هذه الشخصية التي عبَّرت عن نفسها بهذا اللفظ، لتقول بأن حمدان رجل غير سوي، خبيث أناني، فساعد على رسم ملامح وسلوك هذه الشخصية الشريرة، فوظّفته بذكاء، عندما ربطت بين الخبث والمكر (وهي صفات الثعلب) وبين القوة والسيطرة والإقدام (وهي صفات الأسد)، أي أن (حمدان) يدَّعي أنه يملك القوة والمكر، وهي مقاييس السيطرة والفهلوة في هذا الزمن.

غلب، وإذا سُئل وهب، كان في شهر رجب يذبح كل يوم عشرًا من الإبل فيطعم الناس. ينظر: أبا الفرج الأصفهاني، الأغاني، 17/ 363-366.

([272]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص34.

([273]) ديمة السمان، م.ن.، ص35.

([274]) بيدبا الفيلسوف الهندي، كليلة ودمنة، ص77.

استخدمت الكاتبة ما تناقله الأدب العربي عن لغة العيون عندما قالت: "أنا لا أصدق إلا لغة العيون".([275]) فللعيون لغة ولإشارات العيون معان مختلفة، فقد وصف ذلك (ابن حزم) في (طوق الحمامة) عندما قال: "الإشارة بلحظ العين؛ يقطع به، ويوعد، ويهدد، ويوصل، ويبسط ويحزن؛ فالإشارة بمؤخر العين الواحدة: نهي عن الأمر؛ وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها: دليل على التوجع والأسف؛ وكسر نظرها؛ آية الفرح؛ والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد؛ وقلب الحدقة إلى جهة ثم صرفها بسرعة: تنبيه على مشار إليه... واعلم أن العين تنوب عن الرسل، ويدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس؛ والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً، وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوة التي تقف على الحقائق..."([276])

اعتبرت الكاتبة أن العين مرآة القلب، تعبِّر عن مكنونات الصدر، وبأنها لا تكذب، ولا يستطيع الشخص إخفاء سرّه بشكل كامل لأنها تشي بما يشعر به القلب.

([275]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص79.

([276]) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص83.

أصابت الكاتبة بقولها هذا، ووافق كلامها ما ورد في طوق الحمامة، فجاء توظيفها مناسبًا لموضوع الحوار بين (عناد) و(نفوذ)، ونقلت لنا من خلال ذلك الحوار صورة ملونة حقيقية للعلاقة التي نشأت بين المتحابين، والتي نسجت مجمل روايتها على مؤثرات تلك العلاقة.

الفصل الرابع

توظيف التراث التاريخي

الفصل الرابع
توظيف التراث التاريخي

تناولت الكاتبة ديمة السمان في رواياتها مرحلة زمنية طويلة نوعًا ما، بدءًا من مراحل ضعف الخلافة العثمانية، والسفر برلك، مرورًا بالانتداب البريطاني على فلسطين وصولاً إلى الاحتلال الصهيوني لفلسطين، معرجة على نكباته المتتالية منذ العام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف.

تنوعت الإشارات إلى التاريخ القديم والحديث، وتجسد الزمن التاريخي باستخدام الوقائع والأحداث المتصلة بالقضية الفلسطينية، والأحداث العربية، والأحداث العالمية، وقد استلهمت الكاتبة بعض نصوصها من الواقع الزمني.

كما عبَّرت عن تأثرها بالقومية العربية عندما وظفت ألفاظاً من خطب الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، فقد ذكرت على لسان (عبد الجبار الابن): "نحن أمة عربية واحدة.. ذات رسالة خالدة"[277].

(277) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 64.

تكررت تلك الألفاظ في خطب عبد الناصر[278]، ولم تخل خطبة في تلك الأيام من زمن الرواية إلا ووردت فيها مثل هذه الألفاظ التي تدعو إلى الوحدة في مواجهة الاستعمار الغربي، بل إننا الآن ندعو ونتشوق إلى وحدة الصف العربي، لأن الوحدة هي السبيل الوحيد الذي نواجه به هجمة الاستعمار الغربي على بلادنا العربية، من المحيط إلى الخليج، ونحن الفلسطينيين في أمس الحاجة إلى هذه الوحدة؛ وحدة شعبنا، ومن ثم وحدتنا الكبرى مع أمتنا العربية الإسلامية.

استعانت الكاتبة بهذه الألفاظ لتمرر فكرتها وموقفها من الوحدة العربية، وترسل دعوة صريحة إلى شعبنا الفلسطيني بأن الوحدة هي سلاحنا الوحيد للحصول على حريتنا.[279]

---

(278) ينظر: وليد أبا بكر: تجليات الواقع في الفن القصصي قراءات نقدية، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والتوزيع، 2003. ص21.

(279) ينظر: الجمهورية العربية المتحدة، مجموعة خطب و تصريحات و بيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثاني فبراير 1958- يناير 1960، القاهرة: مصلحة الاستعلامات، ص 180-185.

ذكرت الكاتبة قصة صلاح الدين الأيوبي؛ القائد المسلم الذي قام بعلاج أعتى أعداء المسلمين (ريكاردوس قلب الأسد)، وذلك بهدف إعطاء الذريعة لعنبرة بمعالجة عدو زوجها (زهدي لقمان).

جاء هذا التوظيف على لسان شخصية الرواية (سليم العطار)، بهدف إقناع أبناء عائلته الذين رفضوا أن تذهب زوجته عنبرة لمعالجة عدوه، وحتى تبين لنا الكاتبة شدة رفض التعامل مع عدوهم من آل لقمان، ولإثبات وجهة نظر إنسانية، بأن الواجب الإنساني يتفوق بالضرورة على العداوة والضغينة، فكان توظيفها هنا بنّاءً ومثمرًا.

وردت قصة صلاح الدين الأيوبي مع ريكاردوس قلب الأسد، عندما ذكر: "وهنا ظلّ صلاح الدين محتفظًا دائمًا بكرم أخلاقه في معاملة الصليبيين، فأرسل إلى ريتشارد ما طلبه في مرضه من فاكهة وثلج حتى شفي.."[280].

استخدمت الكاتبة ألفاظًا لها علاقة بالتاريخ الإسلامي عندما قالت:

---

[280] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 2/ 866.

"لقد احرقت السُفن خلفي"([281]). ورد هذا القول عندما فتح القائد المسلم (طارق بن زياد) الأندلس، فقد قال آنذاك في خطبة له مشهورة: "أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام.."([282]).

استخدمت هذا القول كمثل يقتدى به، عندما قالت (عائشة) بأنها أحرقت كل سفنها، أي انه لا مفر لها من أن تكمل طريقها نحو حبيبها (عياش)، فلا شيء لديها لتخسره. وهنا فقد جاء استخدام المقولة التاريخية على سبيل المثل مناسبًا، في إثراء الحوار الروائي.

وظفت الكاتبة معلوماتها التاريخية عن حملة نابليون على مدينة عكا عندما قالت: "أما أنا فابن مدينة عكا، حفيد الجزار قاهر نابليون.."([283]). ذكرت الكاتبة مدينة عكا، والجزار، وحملة نابليون على عكا؛ في هذا السطر يوجد الكثير ليقال، فالجزار ليس من أهل عكا كما ذكرت

([281]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص180.

([282]) المقري، نفح الطيب، 1/ 240؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس،23؛ تكرر هذا التوظيف في الأصابع الخفية، 44، عندما قالت الكاتبة على لسان دوامة البحر: "وقعت في المصيدة يا حفيد شيخ البحر القاتل.. أين المفر؟ فحبل الموج خلفك وقعر البحر أمامك."

([283]) ديمة السمان، م.س.، ص3.

الكاتبة.([284]). تعرفنا الكاتبة بالشخصية الرئيسة في الرواية بأنها من أحفاد الجزار، لأنها كانت تقصد الاعتزاز بـ (عناد) كعربي من عكا.

ورد عن نابليون وحملته على مدينة عكا في سلسلة المدن الفلسطينية (عكا): "فالنصر الذي كان، إنما كان لعكا، وأهل عكا، وأهل فلسطين، ولم يكن للجزّار، وأمثاله ليسوا بقادرين على هزيمة الأعداء الغزاة."([285]). تصور الكاتبة اعتزاز الشخصية بنفسها، وبأنها حفيدة "الأبطال"، لكنها نسبت الشخصية إلى مدينة عكا أولاً، وإلى الجزار ثانيًا، أما نسبه إلى المدينة فهذا شيء جميل، لكن نسبه إلى (الجزار) شأن فيه نظر.

مرت الكاتبة على ذكر الجبل الذي وقف عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما قالت على لسان (نفيسة الابنة): "جبل المكبر الذي وقف عليه عمر بن الخطاب ذات يوم ليتسلم القدس."([286])

أرادت التعبير عن القيمة النفسية والمعنوية لبيوت البلدة القديمة من القدس الشريف، فهي تعانق تاريخنا الإسلامي معانقة حميمة وجدانية،

([284]) الجزار: إنما هو من مواليد البوسنة، (1148هـ) وكان مملوكًا في مصر، حارب أعداء السلطان، واشتهر بقسوته على أعدائه، توفي سنة (1292هـ)، ثم عُيّن حاكمًا على بيروت، وضم إلى ولايته صيدا وعكا. ينظر: محمد شراب، عكا، 122.

([285]) محمد شراب، عكا، ص127.

([286]) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 119.

فقيمتها لا تقدر بثمن، ولا يمكن التعويض عنها؛ ليأت ابنها الذي يرتبط بالعمالة مع يهود المحتلين محاولاً بيع بيتهم في القدس للمستوطنين اليهود، فقررت بأنه يستحق القتل قبل أن يفعل ذلك. حقيقة فإن من يبيع أرضًا أو بيتًا في أي مكان للعدو فهو يستحق القتل، فما بالكم ببيوت القدس القديمة؟ هي رسالة من الكاتبة تريد القول فيها بأن من يبيع بيته للمحتل هو عميل خائن يستحق أشد عقاب، فالقدس تمثل تراثنا التاريخي الذي سطره الشرفاء بأحرف من نور ونار، وهو التاريخ الذي أعطى فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الأمان لأهل القدس من النصارى وتشهد على ذلك (العهدة العمرية)، التي وقّعها بشهادة خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. نجد ذلك في كتب التاريخ الإسلامي، ومنها ما ورد في (الأنس الجليل): "ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو طور زيتا، وأتى رسول- بطريقها إليه- بالترحيب وقال: إنا سنعطي بحضورك ما لم نكن نعطيه لأحد دونك، وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية وأن يعطيه الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم، فأنعم له عمر بذلك."[287]

---

[287] مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، بغداد: مكتبة النهضة، 1995، 1/

جاء هذا التوظيف مباشرًا أثناء الحوار الداخلي عند الشخصية الروائية، لكنه خدم الفكرة التي أرادت الكاتبة توصيلها، إلا إنه لم يتفاعل مع النص الروائي بقيمته الفنية، إنما جاء كذكر تاريخي يرتبط به الإنسان المقدسي ارتباطًا وجدانيًّا وثقافيًّا وتراثيًّا.

توظيف الأحداث التاريخية العربية

وظّفت الكاتبة الأحداث التي مرت بها الساحة اللبنانية في العام اثنين وثمانين من القرن الماضي، وخصوصًا الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية، بهدف القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح، في هجوم عسكري واسع النطاق، اشتركت فيه جميع وحدات القتال العسكرية الصهيونية، والتي أُطلق عليها (سلامة الجليل)، قولها: "قامت إسرائيل بحرب سلامة الجليل.. وكان على سلام أن يرتحل مع رجاله إلى الخطوط الأمامية في الجنوب.."[288]

.255

([288]) ديمة السمان، القافلة، ص214.

ذُكر هذا الاجتياح في: "فإن نية العدوان المبيتة وجدت ترجمتها على أرض الواقع اجتياحًا إسرائيليًّا واسع النطاق للأراضي اللبنانية، حمل الجيش الإسرائيلي خلال بضعة أيام على مشارف العاصمة بيروت، وقد تعمدت الحكومة الإسرائيلية إخفاء أهدافها الحقيقية بعيدة المدى من هذه العملية العسكرية عندما حددت في بيان إعلان الحرب(6 حزيران/ يونيو 1982) نيتها عدم مهاجمة القوات السورية المتمركزة في الأراضي اللبنانية.[289]

حاولت الكاتبة بهذا التوظيف، ربط أحداث روايتها، وتسلسل حبكتها، بما يدور على الساحة العربية، وما يتعلق بالقضية الفلسطينية التي حاولت الكاتبة الولوج إلى دهاليزها الوعرة، فـ (سلام) الشخصية الثورية التي هي بمثابة صورة لكل شاب فلسطيني يعيش حالة الألم، ويأمل في القيام بدوره تجاه بلاده التي انتهك الاحتلال حُرماتها، وقضم جذورها أمام أنظار العالم.

وجاء هذا التوظيف في مرحلة زمنية متسارعة، ففي بحر إحدى عشرة صفحة من مجموع صفحات الرواية المائتين وخمس وثلاثين صفحة؛ امتد الزمان من سقوط دير ياسين إلى اجتياح لبنان في بداية الثمانينيات. أربعة

---

[289] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، 311.

وثلاثون عامًا، مرت عليها الكاتبة بلمح البصر، وهذا المرور السريع أذهب الإبداع وأربك القارئ، فلم يكن التوظيف موفقًا.

وظفت الكاتبة معلوماتها عن الشريف حسين بن علي عندما قالت على لسان (الأستاذ حيدر): "لا تستخف بالأمر يا أبا طاهر.. فهؤلاء أتباع الشريف حسين بن علي.. الذي دخل في الحلف الأوروبي ليوحد الأرض العربية ويصبح ملكًا عليها."(290)

"انصبّ اهتمام الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى على هزيمة الإمبراطورية العثمانية بأقصى سرعة ممكنة، وبأقل التضحيات البشرية والمادية، وكان الحلفاء على يقين بأن هذه المهمة ستكون أكثر يسرًا لو استطاعوا إقحام العرب في ثورة ضد حكامهم الأتراك، ولذلك سعوا لإيجاد زعيم عربي يتمتع بمقدار من القوة والمكانة كافٍ لحمل شعبه على إعلان التمرد.

ووقع الاختيار للقيام بهذه المهمة على الحسين بن علي، سليل بيت النبوة وشريف مكة المكرمة وأحد الشخصيات البارزة في جزيرة العرب."(291)

---

(290) ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 159.

(291) واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع، ص17.

وظفت الكاتبة هذه المعلومات على لسان إحدى شخصيات الرواية المثقفة، وهو الأستاذ الذي كان يطالع الأحداث أولاً بأوّل، ويتابع كل ما يجري على الساحة العربية[292]، ولذلك فقد جاء هذا التوظيف مناسبًا لواقع الحال، فعزّز من قيمة المعلومات التاريخية الواردة في السرد الروائي، علمًا بأن التوظيف جاء بشكل خطاب أثناء حوار كان دائرًا بين الشخصيات في الرواية، وهنا تُبرز الكاتبة الحالة السياسية، التي كانت سائدة في زمن الرواية، وهي الفترة بين تداعي قوة الخلافة العثمانية وتآمر الحلفاء على العرب وتأسيس دولة يهود.

كما عرّجت الكاتبة على توظيف معاهدة (سايكس بيكو) عندما قالت على لسان (الراوي): "في صباح اليوم التالي صحت الأمة العربية على زلزال اسمه معاهدة سايكس بيكو تقاسمت فيها بريطانيا وفرنسا البلاد العربية."[293].

رصدت اتفاقية سايكس بيكو بنقاطها كما وردت بالاتفاقية تمامًا، تلك الاتفاقية التي قسم الاستعمار البلاد العربية بين أقطابه، وصارت الأرض العربية مقسمة إلى أجزاء صغيرة (دويلات) بحيث يسهل

---

[292] ينظر: وليد أبا بكر، تجليات الواقع في الفن القصصي، ص20.

[293] ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 174.

السيطرة عليها على مبدأ (فَرِّقْ تَسُدْ) الذي اتبعه الإنجليز للسيطرة على المنطقة العربية آنذاك، وما زالت هذه السياسة متبعة عند أقطاب المشروع الاستعماري الغربي إلى أيامنا هذه، فقد جزأت الدول الاستعمارية وطننا العربي بحيث لا يمكن أن تتشكل قوة موازية للمشروع الغربي بأي حال من الأحوال، وبالأمس قامت بفصل جنوب السودان عن شماله، والحبل على الجرار في تجزئة المجزّأ، وورد الكثير من المعلومات في دراسة تطرقت إلى (مراسلات الحسين مكماهون)، وذكرت كثيرًا من تفاصيل تلك المراسلات، ومنها ما جاء حول اتفاقية (سايكس بيكو) إذ تقول: "بقيت اتفاقية سايكس بيكو سرية من موظفي القاهرة، لقد كانوا هم الذين نادوا بإعلام حسين عن تفاصيلها."[294]

تبين في هذا التوظيف مقدار السخط الذي شعر به العامة في تلك الفترة عندما نشرت اتفاقية سايكس بيكو بين الناس، معتبرين أن بريطانيا لم تفِ بالتزاماتها للعرب.

نقلت الكاتبة الصورة التاريخية بحذافيرها، لكن بعيدًا عن الأسلوب الروائي الفني، وانتقلت إلى مقولة للقائد الإنجليزي الجنرال (ألنبي)

---

[294] إيلي قدوري، في المتاهة العربية- الإنجليزية، 185؛ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تاريخها وقضيتها، ص46.

ذكرتها على لسان (أبو رعد): "هل سمعتما ماذا قال الجنرال ألنبي عند نهر الأردن.. "اليوم انتهت الحروب الصليبية"."[295]. ورد هذا القول في (الطريق إلى القدس): "وقد دخل البريطانيون القدس في 9 من كانون أول/ ديسمبر 1917، وهناك أعلن القائد البريطاني ألنبي في خطابه "اليوم انتهت الحروب الصليبية"[296].

وظفت الكاتبة الحدث الأهم في التاريخ المصري، بقولها: "بينما كان عبد الجبار يلوم أبا الطاهر على قسوته وكلامه الجارح إذا بموعد إذاعة خطاب جمال عبد الناصر الذي وصف بأنه مهم جدًّا.. وتتحرق الجماهير لسماعه قد أزف.. وانطلق يعلنها مدوية: "تأميم شركة قناة السويس" وعمَّت العالم العربي من المحيط إلى الخليج فرحة وبهجة"[297].

---

[295] ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 175.

[296] محسن صالح، الطريق إلى القدس- دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، طبعة القاهرة الأولى، القاهرة: مركز الإعلام العربي، 1424هـ/ 2003م، ص 194. كتاب القدس(22).

[297] ديمة السمان، م.س.، 2/ 14.

من خلال هذا التوظيف، فإنها تصور الفرحة التي عاشتها الأمة العربية من المحيط إلى الخليج نتيجة هذا التأميم لقناة السويس[298]، واستطاعت دمج هذه المعلومة ضمن السرد الروائي التاريخي، بحيث كان مناسبًا لموضوع الحوار، فالهم الفلسطيني لا يختلف عن الهم المصري، والفرحة المصرية تُسعد الفلسطيني، وهذه هي الأمة العربية التي ترتبط بمصير واحد.

إلا أن بعض المثقفين العرب قد انتقدوا هذه الخطوة بعد أن اعترتهم المخاوف من ردة الفعل الغربية على هذه الخطوة، وقد ذكرت لنا الكاتبة هذه الفئة عندما قالت على لسان شخصياتها الحوارية: "نعم يا سيدي.. فهناك من أرعبهم هذا الخبر. لا بد أنهم خونة أو عملاء، لا.. بل مفكرون ومثقفون ودارسون.."[299].

ورد نص فيه هذا المعنى في موسوعة التاريخ الإسلامي عدَّ الكاتب فيه أن التأميم "حركة عناد وانفعالية": "الذي يدرس أحداث تأميم

---

[298] تأميم قناة السويس: فأعلن في 26 يوليو تأميم قناة السويس، واستعادة مصر لقناة السويس أمل يتمناه كل مصري. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط4، القاهرة: مكتبة النهضة، 1989. ص 482.

[299] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 23.

القناة يدرك أن التأميم كان نتيجة تحرك انفعالي عاطفي لم يتحكم فيه العقل"[300].

عرَّجت الكاتبة في معرض حديثها عن القضية الفلسطينية على استخدام الحدث التاريخي، بقولها: "بعد عدة أيام.. وكان ذلك في يوم الاثنين التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ألف وتسع مئة وست وخمسين.. أعلنت إسرائيل الحرب على مصر.."[301]، فاعتبر البعض أن هذه الحرب، الحرب العربية الإسرائيلية الثانية كان فيها نهاية إسرائيل، إذ توضح الكاتبة من خلال حوار شخصياتها بهذا الشأن السياسي المحض أن (عبد الناصر) الرئيس المصري الراحل، بيده عصا سحرية يستطيع بها النيل من أعداء الأمة العربية عندما قالت: "غدًا إن شاء الله سيعيد لك عبد الناصر ثقتك بنفسك.. وفي العروبة.."[302].

لكن العدوان كان قاسيًا، فانتهت الحرب بهزيمة عسكرية لمصر، على الرغم من أنها شكلت انتصارًا سياسيا للعرب، "وتعرف أيضًا باسم العدوان الثلاثي على مصر، وهي الحرب التي نشبت في العام 1956،

---

(300) أحمد شلبي، الموسوعة الإسلامية، ص 483.

(301) ديمة السمان، م.س.، 2/ 23.

(302) ديمة السمان، م.ن.، 2/ 24.

وشنتها (إسرائيل) وإنكلترا وفرنسا ضد مصر، وانتهت بانتصار سياسي كبير لمصر وحركة التحرير العربية رغم أن النتيجة العسكرية لم تكن لصالح مصر."[303]

تبين من خلال هذا الحدث أن الناس كانوا يتشبثون بأقل الآمال، وكانوا يوهمون أنفسهم بأي حدث من شأنه أن يعيدهم إلى أراضيهم، وأن يكسر شوكة (إسرائيل)، فاستطاعت أن توصل فكرتها، ولكنها ابتعدت عن الأسلوب الروائي الفني، واستخدمت لغة تقريرية جامدة، جمود الحدث التاريخي.

تستمر الكاتبة في توظيف المعلومة التاريخية ضمن نسيجها السردي عندما تقول على لسان (الراوي): "فاجأت مصر وسوريا العالم في حرب تشرين أول 1973، فقلبت الموازين والمعايير.. ووقف العالم مبهورًا مبهوتًا يتلفت حوله.."[304].

---

[303] حرب 1973: "هي الحرب التي شنتها مصر وسوريا- وانضم إليها العراق وغيره من الأقطار العربية – ضد إسرائيل في 6 تشرين الأول- أكتوبر، 1973 بهدف خرق الجمود المهيمن على المنطقة منذ حرب 1967. "عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت.) 2/ 205.

[304] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 71.

تصور الحالة النفسية السيئة للناس في الفترة بين هزيمة سبعة وستين وبين حرب أكتوبر[305] من خلال ذكر الحدث التاريخي، لكن المهم بالأمر أن هذا التوظيف لا يساعد على النهوض الفني للسرد الروائي، بل على العكس من ذلك، فقد أذهب التوظيف التاريخي بالإبداع الفني عند الكاتبة، وحول النص إلى سرد تاريخي مجرد من النغم الروائي.

جلبت التاريخ في سردها بكل آلامه وأوجاعه، بتوظيفها على زيارة السادات إلى القدس عندما قالت: "إلى أن عاد وفاجأ الرئيس أنور السادات العالم بزيارة القدس.. وإلقاء خطاب في الكنيست الإسرائيلية.."[306].

استهجنت الشعوب العربية فعلة السادات، وعدَّته خائنًا للعروبة، ومتخليًّا عن قضاياها المصيرية، وخصوصًا القضية الفلسطينية، وأعطت الزيارة قوة منيعة لإسرائيل، وأضعفت بالمقابل الموقف العربي، وصدمت إرادته: "قام أنور السادات بخطوته الحاسمة في 9 نوفمبر 1977، إن الرئيس المصري وللمرة الأولى خرج على التنسيق العربي فكانت مبادرته منفردة لم يشترك فيها أي زعيم عربي، فظلت مسيرته مشبوهة وموصومة

---

[305] عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، 2/ 208.

[306] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 72.

بالخطيئة التي عزلت مصر وإسرائيل في تسوية جزئية منفردة وهو ما رفضه سائر العالم العربي.([307])

نقلتنا الكاتبة إلى تلك الأجواء السوداء، من خلال هذا التوظيف التاريخي الذي تسكن فيه الخيبات المتتالية للشعب العربي.

توظيف الأحداث التاريخية العالمية

تطرقت الكاتبة إلى ذكر أحداث عالمية في سردها الروائي، عندما قالت على لسان الراوي: "بدأت الحرب العالمية الأولى وزاد الأمر سوءًا"([308]).

لقد جاءت الكاتبة على هذا التوظيف لخدمة البنية الأساسية للرواية خصوصًا وأن هذا التوظيف قد جاء في بدايات السرد الروائي، فهو أساس لأحداث بُنيت عليها حبكة الرواية، من مثل: "نظام القرعة الذي

([307]) فيليب روندو، الشرق الأوسط في سعيه للسلام، ترجمة كمال الخولي، بيروت: المنشورات العربية، (د. ت.) ص 130؛ محمود فوزي، حكام مصر السادات، ط1، القاهرة: مركز الراية للنشر والتوزيع، 1997. 158.

([308]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص19؛ تكرر التوظيف في برج اللقلق، 1/ 153.

ابتدعته الحكومة التركية لانخراط الشباب في الجيش التركي، والمجاعة، والفقر، وغيرها.."[309]

كان لا بدَّ للكاتبة من استخدام هذا التوظيف، لأهميته بالنسبة إلى البناء الهندسي للرواية، وقد وُفقت الكاتبة بذلك التوظيف، واستطاعت أن تبني روايتها بطريقة ديناميكية.

توظيف الأحداث التاريخية الفلسطينية

وظفت الكاتبة الأحداث التاريخية التي مرت على الشعب الفلسطيني وكان لها الأثر الأكبر في نفسه، وفي تركيبته الاجتماعية، في وقت من الأوقات، ومن بين هذه الأحداث التي مرَّ بها هذا الشعب إبَّان الحكم العثماني، وخصوصًا في فترة الحروب، و(السفر برلك) عندما قالت: "أيام سوداء حلَّ فيها القحط وعمَّت المجاعة.. تعرف عليها الناس في ذلك الزمان "بالسفر برلك"[310]. ورد هذا في العديد من كتب التاريخ

---

[309] ينظر: ديمة السمان، الضلع المفقود، ص19 – 22.

[310] الضلع المفقود، ديمة السمان، ص18. تكرر هذا التوظيف في رواية القافلة ص110؛ وتكرر ذلك في برج اللقلق، 1/ 137.

ومنها ما جاء في كتاب "تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني": "أما المصدر الأكبر لمعاناة الفلاحين الفلسطينيين والذي لا زالت قصصه تتردد على ألسنتهم حتى أيامنا هذه فقد كانت حملات التجنيد القسري للجيش العثماني."(311).

وُظفت تلك الأحداث بطريقة مباشرة، وبأسلوب تقريري يشبه الأسلوب الصحافيّ، الذي ابتعدت فيه عن الفن، فبدا نقلاً تاريخيًّا أكثر منه فنًّا روائيًّا.

جلبت الأحداث التاريخية من على رفوف الذاكرة الفلسطينية، واستندت إليها استنادًا قويًّا في بناء روايتها، وإعطائها الصبغة السردية التاريخية بقولها: "بدأت الحرب العالمية الأولى وزاد الأمر سوءًا.. فأدخلت الدولة نظام القرعة حتى سن الرابعة عشرة.. أي يؤخذ كل من بلغ عمره أربعة عشر عامًا لينخرط في سلك الجيش التركي أو يدفع بدلاً.. ثم دخل نظام السخرة.. أي تشغيل الفرد في أي عمل من قبل الدولة دون أجر.."(312).

---

(311) فتحي أحمد، تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني، 98.

(312) الضلع المفقود، ديمة السمان، ص19؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 7 و 153.

عزز هذا التوظيف عنصر التشويق في الرواية، ولكنها كانت تعلل وتشرح الفكرة، الأمر الذي أبعد النص عن الأسلوب الروائي الفني، وأدخله في بوتقة السرد التاريخي التقريري المباشر.

ويتكرر التوظيف التاريخي في تجسيد الخلاف القائم بين عائلتي النشاشيبي والحسيني في رواية (الضلع المفقود)، بحيث أصبح هذا التوظيف محورًا أساسًا للرواية عمومًا، فقد تكررت الإشارة إلى هذا الخلاف في مواقع كثيرة في الرواية، وتداخل النص التاريخي مع السرد الروائي بحيث يصعب على القارئ معرفته، فهي تقول:

"كان مضيافًا ذكيًّا يستقطب حوله أهل الحي.. وجريئًا بحيث يحاول أن يستأثر بزعامة الحي، ويكون منافسًا شرسًا للشيخ سليم العطار.. وما بخل بإحسان يعود عليه بالمنفعة.. وخاصة الظاهر منه الذي يقطف منه ثمرة الاستحسان الفوري من أفواه العباد.. ولم يجبن عن تنفيذ ما أوحى له عقله الماكر بدسيسة أو تدبير مكيدة أو زرع بذور الشقاق بين أهل الحي ليعود فيحلها ويكسب فضل تسويتها لترتفع مكانته أكثر."([313]).

وردت إشارات كثيرة عن ذلك الخلاف بين العائلات المقدسية على السلطة في بدايات العشرينيات من القرن الماضي، خصوصًا ما ورد في

([313])ديمة السمان، الضلع المفقود، ص24 و24، 35، 107، 108، 118، 170.

"تاريخ فلسطين الحديث": "وهكذا تفادى صموئيل استعداء آل الحسيني في حركة توازن بين آل الحسيني وخصومهم آل النشاشيبي تتفق مع السياسة الاستعمارية التقليدية المعترف بها .."[314].

كان الصراع قائمًا على السلطات السياسية، والدينية، والاجتماعية، بين عائلتي الحسيني بزعامة الحاج أمين الحسيني الذي كان مفتيًا على كامل فلسطين وعائلة النشاشيبي التي كان يقودها راغب النشاشيبي، وكان آنذاك رئيسًا لبلدية القدس، الأمر الذي أضعف من كل رغبة للوحدة الوطنية لمقاومة المد الصهيوني، والاحتلال الإنجليزي آنذاك:

"وبدأ آل الحسيني باتخاذ الإجراءات الاحترازية للاحتفاظ بسيطرتهم على أكبر منصبين إسلاميين في فلسطين؛ وهما منصب الإفتاء، ومنصب رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وذلك في حالة توجيه الاحتجاجات ضد جمع الحاج أمين الحسيني بين المنصبين.."[315]. "وكان رئيس بلدية القدس (راغب النشاشيبي) وثلاثة موظفين وبضعة أفراد من شيوخ البلاد هم الوحيدين الذين امتنعوا عن التقيد بقرار مقاطعة بلفور

---

[314] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص145

[315] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص190 .

وحضروا مهرجان تدشين الجامعة العبرية.."[316]. "وكان الميدان الأكبر للانقسام هو الصراع من أجل السيطرة على المجلس الإسلامي الأعلى بين آل الحسيني وآل النشاشيبي.."[317]. "تم تأسيس حزب الدفاع الوطني من قبل عائلة النشاشيبي المنافسة لعائلة الحسيني التي كانت تمسك بمقاليد الزعامة القائمة في فلسطين. (فمن عائلة الحسيني كان موسى كاظم الذي ترأس في عام 1922 الوفد العربي إلى لندن، والحاج أمين مفتي القدس الذي كان شخصية مركزية في اضطرابات عام 1929، وفي عام 1936 أصبح الحاج أمين الزعيم الأقوى والأكثر شعبية في فلسطين)"[318].

وظفت الكاتبة هذا الصراع في نسج روايتها، بل إنها اعتمدت عليه اعتمادًا أساسيًا بحيث جعلت منه مادة تاريخية استندت عليها في بناء حبكتها الروائية، وقد مثَّلت تلك الأحداث كل لبنة من لبنات الرواية وتداخلت في مبناها بشكل عضوي، فاستمدت الحوار من بين صفحات التاريخ، وجسدت الصراع دون أن تشير إليه، معتمدة على الرمز

---

(316) عبد الوهاب الكيالي، م.س.، ص193.

(317) عبد الوهاب الكيالي، م.س.، ص195.

(318) واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع، ص131.

والمواربة، إلا أن قارئ التاريخ، ومن يعيشه، يستطيع لمس ما يجول في خاطر الكاتبة، فهي ترسم سيرة الزمان وتتجول في دهاليز المكان، لنعانق تراثه التاريخي وعبقه الممتد جيلاً بعد جيل لكي لا ننسى ما حلَّ بفلسطين، ولكي نتحسس مستقبلاً آتيًا، وكأن لسان حالها يقول إن تلك الخلافات قد أضعفت المقاومة الشعبية للمد الصهيوني، الذي كان ينهب الأرض الفلسطينية بدون مقاومة يُحسب حسابها، وأظنها أصابت فيما ترمي إليه، وها نحن نعاني، جيلاً بعد جيل، من أثر الانشقاقات والتشرذمات والفرقة، فالسلاح الذي يسعد أعداءنا كثيرًا، هو فرقتنا؛ لأن العدو هو الوحيد الذي يستفيد من تلك التشرذمات...

فالحدث التاريخي يشكل محورًا للاستناد إليه بقولها: "وصلت الباخرة ميناء حيفا.. ورجع عياش إلى أرض الوطن ليواجه الأحداث والمتغيرات.. فقد مضى عصر الأتراك بخيره وشره.. وجاء عصر الانتداب البريطاني على فلسطين"[319]، فحددت زمن الرواية، وهو الزمن الذي أعقب انتهاء الخلافة العثمانية، وبداية السيطرة الإنجليزية على فلسطين.

---

[319] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص103.

كما إنها تشير إلى أهمية مدينة حيفا وميناءها، حيث كانت مركزًا مهما وميناءً يصل فلسطين بالعالم الخارجي، هذا الميناء الذي أنشأه العثمانيون عام 1908م([320]).

تطرقت الكاتبة في سردها إلى ذكر وعد بلفور المشؤوم، عندما قالت: "والأمل أكبر وبخاصة بعد التحركات التي قامت بها المقاومة الفلسطينية على الصعيد المحلي والدولي بعد إعلان وعد بلفور.. الذي جعل من الأرض الفلسطينية وطناً قومياً لليهود.."([321]).

ورد نص وعد بلفور في كتب التاريخ المعاصر([322]).

استخدمت هذا التوظيف لتبين الدور السياسي الذي كان (عياش) يقوم به في تلك الأثناء، و(عياش) هنا يمثل إحدى الشخصيات السياسية المهمة في ذلك الوقت، وهو الذي تزعم مدينة القدس، وشارك في مقاومة العصابات الصهيونية، وكان ممثلاً عن الشعب في المحافل الدولية، وله وزنه الشعبي والسياسي عند الإنجليز.

([320]) ينظر: مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، 7/ 524.

([321]) ديمة السمان، م.س.، ص193؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 175.

([322]) ينظر: بيان الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة، ص457؛ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، 8/ 30-31؛ أحمد العلمي، حرب عام 1948، ص56.

مرَّت الكاتبة على ذكر الدور المشبوه الذي قامت به بريطانيا، من خديعة العرب الذين حاربوا مع الإنجليز في الحرب العالمية الأولى ضد العثمانيين، فقد ذكر (اللورد كرادون)، الذي أمضى خمسة عشر عامًا موظفًا بريطانيًّا في فلسطين والشرق الأوسط؛ يقول في مذكراته: "إن فشل الإدارة البريطانية في فلسطين كان حتميًا، الخطيئة المزدوجة نفذت في رفع الآمال الكاذبة للعرب واليهود معًا، الآمال كانت كاذبة لأنها متعارضة، العرب الذين حاربوا مع بريطانيا العظمى في الحرب العالمية الأولى لإلغاء قيد الإمبراطورية العثمانية قيدوا للاعتقاد أنهم يحاربون من أجل حريتهم. والمسؤولية الرئيسية هي منَّا بالمراوغة والمماطلة وبالأساس بعدم الأمانة لتعاملاتنا المزدوجة فقد جعلنا من الكارثة مؤكدة. في عام 1915 أيدنا ثورة الصحراء للملك فيصل، في 1917 وقعنا إعلان بلفور"(323).

كما نلاحظ، فإن توظيف الكاتبة لهذا الحدث التاريخي، الذي شكل منعطفا مهمًّا على الساحة السياسية الفلسطينية، جاء كركيزة من ركائز

(323) إيلي قدري، في المتاهة العربية- الإنجليزية، مراسلات الحسين مكماهون وتفسيراتها 1914-1939، القدس: جامعة القدس، 2002. ص351.

روايتها، لكن التوظيف جاء بطريقة تقريرية صحافية محضة، وليس بأسلوب الرواية الفني.

وظفت الكاتبة أحداثًا تاريخية فلسطينية ما زالت تتمحور في ذاكرة الشعب الفلسطيني؛ قالت: "معركة ضارية في منطقة باب الواد بين مدينة القدس ومدينة يافا.."[324].

تشير الكاتبة إلى شدة المقاومة الوطنية[325]، إبان الزحف الصهيوني على الأراضي والمدن الفلسطينية، وبينت لنا مدى القلق الشعبي من هذا الزحف الذي يبتلع الأراضي العربية يومًا بعد يوم، وقد سقط كثير من الشهداء وهم يدافعون عن كرامة هذا الشعب.

كما وظفت أحداثًا تاريخية مرت على شعبنا الفلسطيني عندما قالت على لسان(الراوي): "وكانت المقاومة في أوجها حين بدأ إضراب الستة أشهر سنة 1936"[326].

ورد هذا الحدث في (تاريخ فلسطين الحديث): "وفي غضون الاشتباكات التي وقعت في التاسع عشر من نيسان أصيب عشرات

---

[324] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص220؛ تكرر في الضلع المفقود، ص272.

[325] ينظر: أحمد المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية، 1/ 341.

[326] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص269؛ تكرر في جناح ضاقت به السماء، ص155؛ وتكرر في برج اللقلق، 1/ 183.

العرب بجروح وأحرق الكثير من المنازل العربية. أما رد الفعل لهذه الحوادث فقد كان عفويًّا عنيفًا في جميع مناطق البلاد. وفي العشرين من نيسان شكلت في نابلس لجنة قومية عربية قررت إعلان الإضراب العام في البلاد كلها على أن يستمر الإضراب إلى أن تعلن الحكومة موافقتها على المطالب التي قدمت إليها في شهر تشرين الأول السابق."(327). لقد وظفت الكاتبة هذا التوظيف في نصها الروائي لدرجة أنني خلتها تكتب سردًا تاريخيًّا يبتعد كل البعد عن الفن الروائي، فهو تأريخ لمرحلة من مراحل التاريخ الفلسطيني، خصوصًا وأنها تصف لنا حالة المقاومة وصفًا دقيقًا استمدته من ثنايا التاريخ.

وتستمر الكاتبة في توظيفها التاريخي للأحداث التي مرت على الشعب الفلسطيني عندما تقول على لسان (الرواي) أيضًا: "وتسلطت عليهم بأحكام جائرة تصل حد الإعدام لمن كان في حوزته أخف أنواع السلاح، وضيقت الخناق على المؤسسات الوطنية واحتلتها من قبل قواتها العسكرية"(328).

(327) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 263.

(328) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص272.

وردت هذه الأحداث في كتب التاريخ، ومنها ما ورد في (تاريخ فلسطين الحديث): "وقدم للمحاكمة ما يزيد على (1000) نسمة- 90 في المائة منهم من العرب- بتهم تتعلق بإضرابات شهر آب 1929. وصدر الحكم في مراحل المحاكمة النهائية بإعدام 26 شخصا"(329).

وظفت الكاتبة هذه الأحداث التاريخية بشكل غير منسجم مع الأسلوب الروائي، فجاء سردًا تاريخيًّا أكثر منه روائيًّا.

وتُطلعنا الكاتبة على الحالة البائسة التي وصل إليها بالشعب الفلسطيني، الذي صار الصهاينة يتسربون إلى أراضيه وبمعاونة جادة وملتزمة من حكومة بريطانيا، حين قالت على لسان (الراوي): "نتج عنه الكتاب الأبيض الذي تحدث عن بعض حقوق ملكية الفلسطينيين في بعض الأجزاء من وطنهم وتحديد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين."(330).

ورد عن هذا الكتاب في (فلسطين ومؤتمر القمة العربي): "لقد تعودت السياسة البريطانية في فلسطين أن تصدر بين وقت وآخر كتابًا أبيض تشرح فيه سياستها المقبلة، ففي "حزيران" 1922 صدر الكتاب

---

(329) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص206.

(330) ديمة السمان، م.س.، ص279.

الأبيض الأول بعد فشل مفاوضات لندن بين الفلسطينيين والحكومة البريطانية بشأن الاتفاق على دستور لفلسطين وتأسيس حكم وطني في البلاد، وهو وثيقة خطيرة توضح نوايا بريطانيا العدائية نحو عرب فلسطين وتصميمها على إقامة الوطن القومي اليهودي، وفي أكتوبر "ت1" 1930 ونتيجة لقراري شو وسمبسون أصدرت الحكومة البريطانية كتابًا أبيض آخر اعترفت فيه بأن فلسطين لا تتسع لمهاجرين جدد."[331].

جاء التوظيف هنا منسجمًا مع السرد التاريخي الذي نجده بكثرة على صفحات الكتب التاريخية، لكن الأسلوب التقريري المباشر قد أذهب بإبداع الكاتبة.

وظفت الكاتبة أحداثًا تاريخية شكلت منعطفًا مهمًّا على فلسطين وشعبها؛ عندما قالت على لسان (عياش): "فالحكومة البريطانية نصّبت نفسها اليوم وصية على فلسطين.."[332].

في هذا النص إشارة واضحة إلى زمن الرواية، وهو الزمن الذي عُيِّن فيه أول مندوب سام على فلسطين، في شهر تموز للعام ألفٍ وتسع مائة

---

[331] صلاح الدين شكري، فلسطين ومؤتمر القمة العربي، ص32.

[332] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص129. وقد تكرر هذا التوظيف في رواية القافلة ص117.

وعشرين، وهو اليهودي هربرت صموئيل: "لم تكن هناك مشكلة بالنسبة للبريطانيين في قمع أحداث الشغب في نيسان (إبريل) 1920، وفي تموز (يوليو) من العام نفسه تم استبدال الإدارة العسكرية بأخرى مدنية يرأسها مندوب سام."([333]).

كما نلاحظ أنَّ توظيف هذه المعلومات التاريخية جاء مكثفًا، اتكأت الكاتبة إليها في نسج روايتها، فسردت التاريخ بكل آلامه، ووظفت أحداثه بما تحمله من شرور توجع القلب عند قراءتها، فجاء توظيفها موفقًّا، لكنه حوّل بوصلة الرواية الفنية باتجاه الرواية التاريخية التي تعتمد على السرد المباشر.

لقد وضعتنا الكاتبة في صورة الوضع الذي كان قائمًا إبَّان الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث الرواية، وهي فترة الانتداب الإنجليزي على فلسطين، ودور الإنجليز في خدمة المشروع الصهيوني.

مرت الكاتبة على ذكر ثورة (36)، عندما قالت: "ثورة 36"([334])؛ "ظهرت أول علائم الثورة في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1935، عندما شنَّ القسَّام مع مجموعة من المسلحين أول هجوم مُنظم ضد الجنود

([333]) واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع، ص35.

([334]) ديمة السمّان، القافلة، ص117.

البريطانيين منذ بداية الانتداب، وجاءت هذه المعركة بعد اكتشاف البريطانيين لكميات كبيرة من الأسلحة في يافا يعتقد بأنها تهرب لليهود من بلجيكا، فعممت الصحافة العربية هذه الحادثة، ودعا القادة العرب إلى إضراب ليوم واحد فأُصيبت البلاد بالشلل، ولم يكن هناك شك من أن الناس قد استجابوا لأمر قادتهم.([335]).

وظفت هذا التاريخ لما له من أهمية في مسيرة الشعب الفلسطيني النضالية منذ ذلك الزمن، فاستخدمت التوظيف هذا لخدمة نصها الروائي الذي كان مبنيًّا على الأحداث التاريخية في تلك الفترة، وجاء توظيفها مفيدًا للسرد الروائي، على الرغم من اعتمادها على الأسلوب التقريري المباشر.

ذكرت المعارك التي دارت بين اليهود والعرب بقولها: "بدأت المعارك بين العرب واليهود في يافا وتل أبيب والمستعمرات اليهودية المجاورة منذ الأسبوع الأول للإعلان عن قرار تقسيم فلسطين.."([336])، فقد أعطى قرار التقسيم اليهود غالبية الأراضي الجيدة من فلسطين، وأعطاهم أيضًا أهم المدن الفلسطينية وخصوصًا القدس ويافا، ولذلك كان محتمًا على

([335]) واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع، ص153.

([336]) ديمة السمان، م.س.، ص202.

شعب فلسطين بكل أطيافه وشرائحه رفض هذا القرار ومحاربته: "وافق سبعة أعضاء في آنسكوب على مبدأ التقسيم كأساس لحل المسألة الفلسطينية، وأوصى مشروع هؤلاء بتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، عربية ويهودية، كان الهدف الأساسي للمشروع هو إيجاد تقسيم سياسي مع إقامة وحدة اقتصادية. فبالرغم من أن المشروع كان يدعو إلى إقامة دولتين مستقلتين في فلسطين، إلا أنه كان في الوقت ذاته يتطلب إيجاد اقتصاد تكاملي وموحد. أما بالنسبة لحدود الدولتين فإن (الدولة العربية المقترحة ستضم الجليل الغربي، ومنطقة يهودا والسامرة الجبلية باستثناء مدينة القدس، والسهل الساحلي من أشدود إلى الحدود المصرية، وستضم الدولة اليهودية المقترحة الجليل الشرقي، وسهل مرج ابن عامر، ومعظم السهل الساحلي، وجميع قضاء بئر السبع، الذي يضم النقب)"([337]). وظفت الكاتبة هذا الحدث التاريخي في سياق سردها الروائي لتحوله إلى سرد تاريخي بجدارة، فابتعدت فيه عن الإبداع الروائي الفني لتصبح روايتها هنا درسًا تاريخيًّا لا أكثر.

وعندما قالت على لسان (الراوي): "جاءت أخبار الشؤم تحمل سقوط قرية دير ياسين وكان يسبق الاحتلال أخبار القتل والسلب

([337]) واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع، ص366-367.

والنهب والتشويه والتمثيل وانتهاك الأعراض"([338])، فإنها توظف حدثًا شكل في تلك الفترة تحولاً استراتيجيًّا في مصير الشعب الفلسطيني ونتج عنه تشريد مئات الآلاف: "كان اليوم يوم جمعة، 9 نيسان/ أبريل 1948، ولم يكن فجره قد انبلج حين انقضت فجأة، وبمعرفة قيادة الهاجاناة، التابعة للوكالة اليهودية، قوات منظمتي شتيرن (ليحي) والإرغون (إيتسل) الإرهابيتين على قرية مواجهة للضواحي اليهودية الغربية للقدس، على بعد أقل من خمسة كيلو مترات من مقر حكومة الانتداب البريطانية السياسي والعسكري في عاصمة فلسطين، احتلت القرية واستشهد من سكانها (البالغ عددهم 750 نسمة تقريبًا) مئة شخص ونيف، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وهُجر الناجون كافة ليدخلوا في شتات لا نهاية له يحملون فيه إلى يوم الدين جروحًا نفسية لا تندمل."([339])

وظفت الكاتبة هذا الحدث توظيفًا حوَّل الرواية إلى سرد يحمل بين طيَّاته التاريخ الفلسطيني في زمن النكبة، والتي لا يمكن لأي فلسطيني أن يتحدث عن تلك الحقبة من الزمن دون المرور على ذكر أحداثها، وما

([338]) ديمة السمان، القافلة، ص202؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 188.

([339]) وليد الخالدي، دير ياسين، ص3؛ ينظر: وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص618- 622

تركته من معاناة لكل فلسطيني، والحدث الذي وظِّف هنا طغى بثقله على سلاسة السرد الفني، ونزعه من عالمه الرومانسي، وحطَّ به في حضن التاريخ بكل آلامه ونزواته، فمن الناحية الفنية، فإن الكاتبة قد أخفقت في بناء انسجام بين التوظيف التاريخي وبين السرد الفني الروائي. إلا إنها عندما قالت: "فكانت حرب نفسية ناجحة أفرغت البلاد من أهلها"(340)، فإن الكاتبة قد أشارت إلى قضية مهمة يتجلى فيها عمق الحدث وتأثيراته على أهل فلسطين آنذاك، عندما استغل الصهيوني معركة دير ياسين وأشاع بأنه ارتكب المجازر، وبأنه "دُفع" لقتل الأبرياء الذين كما يدَّعي بتواجدهم في وسط خط النار، فمجرد سماع هذه الأخبار جعل الناس يتركون بيوتهم، وقراهم، ويخرجون من البلاد، لتصبح لقمة سائغة للصهاينة الغاصبين، وليصبح شعب فلسطين، لاجئين يعيشون آلام القهر والغربة(341).

وظفت الكاتبة الواقع الفلسطيني عندما أسقطته على أحداث روايتها قائلة: "هؤلاء بالذات طبقة الأمراء والتجار والأغنياء هم سبب اختلال

---

(340) ديمة السمان، القافلة، ص202.

(341) ينظر: وليد الخالدي، دير ياسين، ص85-98.

نظام العدالة في الكون.. حصروا الأموال في أيديهم.. واستعبدوا العباد.. وأشاعوا في الأرض الفساد.. وكأن الدنيا خُلقت لهم وحدهم.."[342].

استمدت الكاتبة هذا الكلام من الواقع الذي يعيشه شعبنا الفلسطيني، في ظل سوء استخدام السلطة عند بعض المتنفذين، الذين خانوا الأمانة، ونشروا الفساد، فضاعت العباد، وتكونت فجوة كبيرة بين القيادة والشعب، فقد عوقب الضعيف إذا ما أخطأ، وكوفئ القوي إذا ما أجرم؛ قالت الكاتبة: "كان أبي عاملاً متخصصًا برعاية الكلاب عند أحد الأغنياء.. ضبطه ذات يوم يسرق من طعام الكلاب من أجل أن يطعمنا نحن الأطفال.. فقد كان أجره لا يكفينا خبزًا.. فطرده."[343].

وهنا فإن الكاتبة قد استخدمت الأسلوب الرمزي في كتابتها، وقد أجادت بهذا الاستخدام، وهذا الأسلوب، الأمر الذي أضفى على النص عمقا موضوعيا يحمل بين ثناياه فكرة تعبر فيها عن معاناة الإنسان الفلسطيني الذي صار بين مطرقة الاحتلال وسندان المفسدين"[344].

---

[342] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص26.

[343] ديمة السمان، م.ن.، ص26.

[344] ينظر: أ. د. محمد اسحق الريفي،

http://thawabitarabiya.com/old_site/modules.php?name=News&file=article&sid=458

تستمر الكاتبة في توظيف الواقع، بكل أطيافه، عندما تقول: "إن حبّات اللؤلؤ أيها الزعيم مصنوعة من حبات عرق " الغلابا" والمساكين قبل أن تكون فائض إفرازات محار البحر.. إنهم يأمرون بالمعروف ويفعلون فعل الشياطين.."([345]).

وظفت الكاتبة الأحداث التاريخية والتي شكلت منعطفا حادا في حياة الشعب الفلسطيني بقولها: "كنا عشرة .. شكلتنا هزيمة 1967"([346]).

"في صباح يوم الاثنين، الخامس من حزيران، في الساعة الثامنة إلا ربعًا، وجهت الضربة الأولى لسلاح الطيران المصري، وشملت عشرة مطارات، منهم تسعة قصفت في وقت واحد، أما العاشر وهو مطار فايد، فقد قُصف بعد دقائق قليلة بسبب الضباب الذي كان يلفه، وقد دمر القسم الأعظم من سلاح الطيران المصري."([347]).

وظفت الكاتبة هذه الأحداث لتقول لنا بأن هموم الشباب بعد (هزيمة حزيران) وهو زمن كتابة الرواية، كان منصبًّا على إيجاد الوسائل للتنفيس عن غضبهم، فقد أدت حرب حزيران 1967، وما تمخض

([345]) ديمة السمان، م.س.، ص27.

([346]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص13؛ تكرر في جناح ضاقت به السماء، ص63؛ وتكرر في جناح ضاقت به السماء، ص142؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 27.

([347]) تشرشل الابن والحفيد، حرب حزيران 1967.

عنها، من نتائج سلبية إلى خيبة أمل كبيرة[348]، ظلت تحفر عميقًا في وجدان أبناء الأمة العربية، ولاسيما المثقفون الذين أدركوا أن الهزيمة لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت هزيمة حضارية أيضًا، وأن محو آثار الهزيمة، والنهوض من جديد، يتطلبان إعادة التفكير في البنى الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية للمجتمع، كما أدرك الشباب العربي أهمية مساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي، والوقوف على الخصائص المميزة، والهوية الخاصة، عن طريق مقاومة الاحتلال، ومراجعة الحسابات بمنهجنا الحياتي عمومًا، والعلمي خصوصًا، وهو موضوع شغل بال الكاتبة فاستندت عليه في بناء صرح روايتها (جناح ضاقت به السماء). أما خطابها الروائي هنا، فقد جاء مباشرًا، شعرت كأنني أمام خطيب يلقي بكلامه أمام مجموعة من الناس، وليس كلامًا منسوجًا بعناية فنية، فهو أشبه بحكاية ترويها الجدة لحفيدها.

وظفت الكاتبة أحداث الانتفاضة الفلسطينية المباركة، والتي بدأت كهبة شعبية متنامية في السادس من كانون أول من العام (1987)،

---

(348) ينظر: محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، القدس: منشورات إتحاد الكتاب، 1997. ص 66.

وشاركت فيها جميع شرائح الشعب الفلسطيني من طلبة، وعمال، وتجار، ومزارعين، وشباب، ونساء، ورجال، وشيوخ، واستخدم الشعب الفلسطيني الحجر، والإطارات المطاطية المشتعلة، في مواجهة آلة القمع الصهيونية، فاعتقل الكثيرون، واستشهد الكثيرون، وأصيبتْ أعداد هائلة من الشعب بإصابات كانت في معظمها خطيرة، وقد وظفت الكاتبة هذه الأحداث عندما قالت على لسان (نفوذ): "السجون مليئة بالشباب.. والقبور مليئة بالشهداء.. فأمام الشباب يا عزيزي قضية.. لا ينفع فيها الكلام.. ما دام العدو ينفذ مخططاته.. ويذيقهم أصناف العذاب.."[349].

وعندما قالت على لسان المحقق الصهيوني: "أنت هنا من أجل أن تحدثنا عن الأحداث الأخيرة التي حصلت في مدرستك.."[350].

وعندما قالت: "يوم إصدار بيان جديد.. تكون الأرض مليئة بالبيانات.. معلقة على الجدران والأعمدة والأشجار"[351].

---

(349) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص210.

(350) ديمة السمان، م.ن.، ص217.

(351) ديمة السمان، م.ن.، ص218.

كما نلاحظ، فإن الكاتبة تصف الحالة التي كانت سائدة إبّان تلك الأحداث، وتعتمد عليها في نسج روايتها بشكل كبير، فهي تذكر حالة المعتقلين والشهداء وأساليب التحقيق، وأظنها أجادت في رصد تلك الأحداث التي عايشتها الكاتبة بنفسها، ومَن من أهل فلسطين لم يعايش تلك الأحداث آنذاك؟! فقد كانت الانتفاضة هبَّةً جماهيرية عارمة لرفض الظلم والقمع والقتل الممنهج للإرادة الشعبية الفلسطينية، وقد أنهت الكاتبة رواية (جناح ضاقت به السماء) بتسجيل تلك الأحداث التي تركت أثرًا واضحا على الساحة الفلسطينية، والتي أدت في النهاية إلى ما يسمى بـ (اتفاقات أوسلو) بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والإسرائيليين.

نقلت لنا الكاتبة الصورة التي كانت عليها الخريطة الفلسطينية أثناء المرحلة المصيرية لفلسطين العام 1948، عندما دخلت الجيوش العربية الأراضي الفلسطينية للدفاع عنها أمام الهجمات المستمرة للمستعمرين اليهود عندما قالت على لسان (الراوي): "أرسلت دولة العراق جيوشها لتكون مسئولة عن شمال فلسطين فتمركزوا في جنين وضواحيها"(352). ورد هذا التضمين كما هو في (فلسطين تاريخها وقضيتها): "واستطاع

(352) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 3.

الجيش العراقي أن يتخطى بلدة طولكرم في اتجاهه غربًا، كما صد هجومًا إسرائيليًّا على بلدة جنين"([353]). وقد قررت البلاد العربية إرسال جيوشها إلى فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني عليها في 14/ 15 أيار 1948([354]). لقد استندت الكاتبة إلى المعلومات التاريخية في سردها التاريخي، فنقلت لنا أحداثه، وأطلعتنا على رَدِّ فعل الناس العاديين على تلك الأحداث آنذاك وكأننا نقف أمام راوٍ عاش أحداث الماضي ليذكرها لنا بعفوية شاهد العيان الذي يحاول جاهدًا تذكّر أدق التفاصيل ليجلب الانتباه لكل ما يقول علنًا، وعسانا نستفيد من عبر الماضي.

توظيف الأسطورة

استخدمت الكاتبة الأسطورة الشعبية بقولها: "والبومة والغراب يتشاءم منهما العرب.."([355]). فهي تقتحم بهذا القول المعتقد العربي في صميمه، عندما تخالفهم في معتقدهم، فإنه على العكس مما تعتقدون، إنه

([353]) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص164.

([354]) ينظر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص158-159.

([355]) الضلع المفقود، ديمة السمان، ص12؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 27.

مفيد في حياته ومماته، ففي حياته يخلص المزارع من القوارض الضارة بمزروعاته، وفي مماته يؤخذ من دمه فيصنع دواءً شافيًا لأمراض كثيرة.

ورد أن البوم طائر شؤم في الأمثال، وفي النصوص النثرية والشعرية، أما في الأمثال فقد قيل: جاء في محاضر الأدباء للأصبهاني "البوم موصوف بالشؤم، وقيل لصياد معه بومتان كبيرة وصغيرة: بكم؟ فقال: الكبيرة بدرهم والصغيرة بدرهمين، قيل له ولم ذلك؟ فقال: لأن شؤمه في إقبال."(356).

أما ما ورد من الأشعار، فمنها ما جاء في قصيدة امرئ القيس إذ قال:(357)

أيا هندُ لا تَنْكِحي بوهةً عَلَيْهِ عَقيقَتهُ، أحسَبَا

وقال ذو الأصبع العدواني:(358)

يا عمرو إن لم تدَع شتمي ومنقصتي

أضرِبكَ حتى تقول الهامةُ اسقوني

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:(359)

---

(356) محاضر الأدباء، الأصبهاني 4/ 979.

(357) امرؤ القيس، الديوان ص398.

(358)المفضل الضبي، المفضليات، 160

بئس ما يجمع أن يغتابَني مَطعَمٌ وخمٌ وداءٌ يُدَّرَع

لم يَضِرني غيرَ أن يحسُدَني فهو يزقو مثلَ ما يزقو الضُّوَع

خالف رأي كاتبتنا تلك المعتقدات، واعتبرت بأن لا أساس لها من الصحة، حيث أن شعوب العالم الأخرى تجد في البوم مصدر تفاؤل ([360]).

يقول الجاحظ: "والبوم عند أهل الرَّي وأهل مروٍ يُتفاءل به"([361]).

فقد قالت: "وهذه السيدة الهندية غريبة الديار وغريبة الأطوار مريبة الأفعال.. تحدث عكس ما حدثت عنه العرب.. فما تشاءموا منه تفاءلت به .. وما استقبحوه استحسنته.."([362]).

وهنا فإن توظيف الكاتبة لهذه المعتقدات ورفضها له يعتبر في رأيي توظيفًا موفقًا خصوصًا وإن الحدث الروائي يتطلب مثل هذا التوظيف الذي يخدم النص ويثريه بشكل كبير.

وقد ورد عن الغربان في نثر العرب وشعرهم، ومنه ما قاله حسان بن ثابت في هجاء الحارث بن هشام بن المغيرة:([363])

([359]) المفضل الضبي، المفضليات، 198

([360]) ينظر: سيمون عوض، طيور فلسطين، ص109.

([361]) عمر بن بحر الجاحظ (250هـ)، كتاب الحيوان، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود،ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2002م، 2/ 218.

([362]) الضلع المفقود، ديمة السمان، ص16.

أجمعتُ أنّك أنتَ ألأمُ من مشى

في فحشٍ مومسةٍ وَزؤكِ غُرابِ[364]

أما الغراب فقد عُرف عنه بأنه طائر شؤم، فهو بشع الشكل ومشيه غريب وصوته مزعج، وقد ذكر في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي الأمثال العربية...[365].

وذكر في (عيون الأخبار): "خرج كثير عزّة إلى مصر يريد عزة، فلقيه أعرابي من نهد فقال: يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال: أريد عزة بمصر. قال: فهل رأيت شيئًا؟ قال: لا، إلا أني رأيت غرابًا ساقطًا فوق بانة ينتف ريشه. فقال له: توافي مصر وقد ماتت عزة. فانتهره كثير ثم مضى فوافى مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال:[366]

فما أعيف النّهديّ لا درّ درّه وأزجره للطير لا عزّ ناصره

رأيت غرابًا ساقطًا فوق بانة ينتّف أعلى ريشه ويطايره

فأما غراب فاغتراب ووحشة وبانٌ فبين من حبيب تعاشره

---

[363] حسان بن ثابت، شرح ديوان حسنان بن ثابت الأنصاري، 73؛ شاكر هادي، الحيوان في الأدب العربي، 3/ 22.

[364] زؤك: المشي بفزع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب زأد.

[365] ينظر: شاكر هادي، الحيوان في الأدب العربي، 3/ 15-16.

[366] ابن قتيبة، عيون الأخبار، 1/ 174.

وقد جاء توظيف الكاتبة ناجحًا قرب أفكارها من فهم القارئ.

كما تطرقت الكاتبة إلى مفهوم الشعوذة والمشعوذين، وإنها تدعو للسخرية منهم عندما طلبت (مريم) الفتاة المدللة ابنة (المهراجا) من أبيها إحضار طبيب فلاح لمداواتها وهي تعلم بأنه جد حبيبها (عيّاش): "أي أبتي إنني سمعت عن طبيب فلاح يقال أنه ماهر شاف.."[367].

هي تعرف حالتها، إنها ليست مريضة مرضًا عضويًّا، إنما تريد من جد عياش إحضار حبيبها الذي بيده الشفاء، لا بيد غيره، ولكن والدها لا يعرف ذلك؛ فيجيبها مستغربًا: "أتريدين أن يقال عنا بأننا أسرة تؤمن بالخرافة والشعوذة؟"[368]. ينزل الوالد عند رغبة ابنته رغمًا عنه، أي أن الكاتبة تثير قضية حساسة، وهي إيمان بعض الناس بالشعوذة، نجدها قد استخدمت أسلوبًا مناسبًا في طرح هذه الفكرة، لتنجح بإقناع القارئ برفض الشعوذة، والمشعوذين.

استخدمت الأسطورة التاريخية التي تتحدث عن "آلهة الحب" بقولها: "إليّ بأجنحة إله الحب"[369].

---

[367] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص61.

[368] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص61.

[369] ديمة السمان، م.ن.، ص242.

وقد وردت أسماء لـ"آلهة الحب" في العديد من الأساطير التاريخية عند الفينيقيين، والرومان، والبابليين، والإغريق، وغيرهم من الشعوب القديمة، فقد كان إله الحب والخصب عند الفينيقيين يسمى"أستار"([370])، وكان إله الموسيقى والحب يسمى عند المصريين القدماء"بيس"([371])، وكان إله الحب عند البابليين يسمى "عشتار"([372])، وكانت آلهة الحب والجمال عند الرومان تسمى"فينوس"([373])، و"إينانا" عند السومريين هي آلهة الخصب والعشق، وهي رمزٌ للأنثى الولود ([374]).

أرادت الكاتبة من خلال هذا التوظيف الإعراب عن حالة العشق التي وصلتها (مريم)، لدرجة أن الحب قد حل مكان البغض والحقد والغيرة، لتخبرنا بأن السلام لا بد أن يسود بدل الحروب والأحقاد، وقد أجادت الكاتبة بهذا التوظيف.

([370]) حسين حمد، قاموس المذاهب والأديان، ص251.

([371]) حسين حمد، م.ن، ص253.

([372]) حسين حمد، م.ن.، ص259.

([373]) حسين حمد، م.ن.، ص259.

([374])ينظر: سيد القمني، الأسطورة والتراث، ط3، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة، 1999. ص115.

وظفت الكاتبة الأسطورة التي تقول إن الصحارى هي مكان سكنى الجان عندما قالت على لسان (ريحانة) زوجة (حمدان): "هل الأمر يتعلق بأهل الخفاء من إخوتنا الجان باسم الله..؟؟ هل حقًّا أن الصحارى مكان سكنى الجان اختاروها للهدوء وسعة المكان والبعد عن الإنسان.."[375].

وقد ورد هذا المعنى في قصص العرب، بل إن العرب كانوا يعتقدون بأن الشعراء لا يقولون الشعر بأنفسهم، وإنما كان لكل شاعر شيطان من الجن هو الذي يملي عليه ما يقول، فقد ذكر القرشي: "قلت له من أشعر العرب؟ قال: أروِ قول لافظ بن لاحظ، وهنات، وهبيد، وهادر ابن ماهر. قلت: هذه أسماء لا أعرفها. قال: أجل! أما لافظ فصاحب امرئ القيس، وأما هبيد فصاحب عَبيد بن الأبرص وبشر، وأما هادر فصاحب زياد الذبياني؛ وهو الذي استنبغه، فسمي النابغة"[376].

تبين الكاتبة في هذا التوظيف الخوف الذي كان يعتري (حمدان) من الرجوع للعمل في الصحراء مع القوافل فقد تتنوع المخاطر في الصحراء، ولأن تلك المخاطر لا يعرفون لها مصدرًا، فإن الناس يعزونها إلى الجان، ولقد وظفت الخرافة والأسطورة توظيفًا حسنًا أفاد النص وارتقى به.

---

[375] ديمة السمان، القافلة، ص16.

[376] القرشي، جمهرة أشعار العرب، 1/ 69.

وظفت الأسطورة الشعبية في نسج نصها الروائي عندما قالت على لسان الراوي: "قال قائل إنه بينما كان متجهًا لأداء صلاة الفجر إلى الجامع القريب من الشاطئ.. رأى فتاة تحيط بها أشباح حملوها إلى السفينة وهي تصرخ وتقاوم.. فاقشعر بدنه.. ووقف شعر رأسه خوفًا.. وقفل راجعًا إلى بيته بما رأى.. فبسملت زوجته واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم.. وأحضرت له (طاسة الرجفة)[377] فأسقته[378]. وقد ورد مثل هذا اللفظ، في (معجم الألفاظ التراثية).

لقد أرادت الكاتبة من خلال هذا التوظيف أن تبين لنا مدى الحيرة التي أصابت الناس من اختفاء الأميرة غير المبرر، فأصبح الناس ينسجون القصص الخيالية، وينسبون اختفاء الأميرة إلى قوة خارقة هي قوة الأشباح التي خطفت الأميرة، لدرجة أن الناس البسطاء العاديين أخذوا يرون القصص بطريقة تمثيلية مقنعة، فيصاب الشخص بالخوف والهذيان والغياب عن الوعي.

---

(377) طاسة الرعبة: أو طاسة الرجفة: هي عبارة عن طاس نحاسيّ صغير، مقعّر، وعلى حافته الدائرية زوائد وأهداب معدنية، وعليه كتابات ذات نقش ديني، وتدخل (طاسة الرعبة) في الميثولوجيا الشعبية بقوة وعند الحاجة إليها، كان يوضع فيها الماء ليلاً، ليسقى منها الشخص (المرعوب) ثلاث مرات قبل طلوع الشمس. حسين لوباني، معجم الألفاظ التراثية في فلسطين، ص 285.

(378) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص14-15؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 23 و 1/ 47.

وقد أجادت الكاتبة في توظيفها، فقد كان مناسبًا للحدث القصصي، ومتماشيًا مع الحبكة بصورة متناغمة. ووظفت الكاتبة الأسطورة عندما قالت على لسان (الشيخ): "أشار عليهم كهنتهم أن يفتدوا أنفسهم ومزروعاتهم وحيواناتهم بقربان بشري.."([379]).

وقد جاء ذكر هذه الأسطورة في التاريخ المصري القديم، عندما كان أهل مصر يقدمون فتاة من أجمل بناتهم بعد أن يزينوها بالحلي والملابس الأنيقة وكأنها ذاهبة إلى عريسها، ثم يحتفلون بها عروسًا للنيل من أجل أن يرضى عنهم النيل فيفيض، وقد وظفت الكاتبة هذه الأسطورة بشكل منسجم مع روح النص المروي الذي أفاد حبكته الروائية.

وظفت الكاتبة المعتقد بتفسير الأحلام عندما قالت على لسان (عناد): "جهز لنفسه فنجان قهوة.. فالنار لا تزال مشتعلة.. وجلس يفسر الحلم، قال: العصفور أنا.. والعصفورة نفوذ.. والثعبان العدو.. لا تفسير للحلم غير ذلك.. ولكن لماذا انتحرت العصفورة؟"([380]).

فقد قال (ابن سيرين) في تفسير الأحلام عن العصفور: "العصفور رجل ضخم عظيم الخطر والمال، خامل لا يعرف الناس حقوقه ضار

([379]) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص 129.

([380]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص49.

لعامة الناس، محتال في أموره، كامل في رياسته سائس شاطر مدبر. وقيل إنه امرأة حسناء مشفقة[381]. لقد وظفت الكاتبة ذكرها للأحلام وتفسيرها لكي تعبر عن شغف (عناد) بـ (نفوذ)، وبأنه يراها في صحوه ومنامه، وعندما فسر الحلم قال بأن العصفورة هي (نفوذ)، تمامًا كما فسرها ابن سيرين في كتاب الأحلام بأنها المرأة الحسناء، وقد استفاد النص من هذا التوظيف فكان منسجمًا مع روح الرواية.

[381] محمد بن سيرين، تفسير الأحلام، ص242.

الفصل الخامس

توظيف التراث الشعبي

الفصل الخامس
توظيف التراث الشعبي

يبرز التراث الشعبي في روايات ديمة السمان، بصورة واضحة وبكثافة عالية، فهي تستعين بنماذج من الأمثال الشعبية، والقصص الشعبي، والحكايات الشعبية، وتمتد رواياتها في تناصها لبناء معمارها الفني إلى أنماط أخرى من التراث الشعبي، وكأن الحياة اليومية بتفاعلاتها وقضايا الناس، واهتماماتهم: الماضية، والحاضرة، والمستقبلية، وحركة المقاومة الشعبية، امتدت إلى بناء الروايات من الداخل، حيث يأتي التناص التراثي بهدف الوصول إلى وجدان الناس من خلال أشيائهم، وحياتهم، فيحركونه، ليبقى الالتصاق أشد وأقوى، وليستمر الأثر في النفس أكثر توهجًا، وأغلب النصوص التراثية التي تحاورها الروائية ديمة السمان، هي من الأمثال التي تأتي مروية باللهجة المحكية الفلسطينية، لتنقل إلى المشهد الروائي لمسات ومشاهد من واقع الحياة الفلسطينية الشعبية، فاستخدام هذا النوع من الملفوظ يقرب التجربة الروائية من المتلقي، حيث يعكس بعض الانفعالات السريعة، وردود الفعل غير المجهزة

مسبقًا، تجاه بعض المواقف الحياتية، ما يرفع نسبة التلقائية في الاستجابة للأحداث، فالتناص مع الأمثال الشعبية، فضلاً عما يضفيه على النص الروائي من تغلغل إلى أعماق الحياة في إيقاعها اليومي، فهو، في الوقت نفسه، يومض في ذهن المتلقي، ويحرك مخزون الذاكرة.

توظيف الأمثال الشعبية

أما الأمثال الشعبية، فقد كان لها نصيب كبير عند الكاتبة، وقد راوح توظيفها للمثل الشعبي بين الاستغراق الكلي والتلميح الفني، ويتوقف هذا على المقام الذي يستدعي هذا التوظيف، فتذكر لنا بعضًا من الأمثال الشعبية التي تأخذ منها موقفًا رافضًا؛ لأنها أمثال سلبية يستخدمها الناس في دعم حججهم في أحوال لا تتناسب مع القيم النبيلة، من مثل: "أطعمني اليوم واشنقني بكرة.. واصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.. والكريم حبيب الله.. وكل يوم يأتي ويأتي رزقه معه.."[382]. استخدم الناس تلك الأمثال الشعبية لدرجة أن أصوات قائليها علت

---

(382) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص20؛ تكرر المثل بصورة أخرى في الضلع المفقود ص138؛ وتكرر في رواية القافلة، ص110؛ تكرر أيضًا في برج اللقلق، 1/ 94.

فوق كل صوت، فهي تقول: "ولكن للأسف كان صوت الأمثال الشعبية السلبية في ذلك الوقت يعلو على صوت العقل والحكمة.."([383]).
فالكاتبة تؤكد موقفها المعادي لتلك الأمثال، وتتهم قائليها بالتخلف والجهل، إلا أنها لم تجعل الشخصية تتحدث عن ذاتها من الداخل، إنما وصفت تأثرها بتلك الأمثلة تأثرًا باهتًا من الخارج، ولم تدمجه في الحوار، فكان أقرب إلى الموعظة منه إلى الفن الروائي، وجاء في القرآن الكريم ما يفيد المعنى نفسه: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾([384]).

كما ورد في معجم الأمثال الفلسطينية: "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب"([385]).

ويضرب المثل إما للكرم والسخاء ويكون بذلك مثلاً إيجابيًّا، وأما إذا استُغل لتبرير التبذير، فهو بالتأكيد مثالاً سلبيًّا كما أشارت الكاتبة بذلك، وللقارئ حرية التأويل فيما يرمي إليه المثل([386]).

([383])ديمة السمان، الضلع المفقود، ص20.

([384]) سبأ،34/ 39.

([385]) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص64؛ محمد كامل عبد الصمد، الأمثال الشعبية التي تخالف ما جاء في نصوص الإسلام، ص18.

وورد، أيضًا، هذا المثل في التراث الأدبي وخصوصًا بالشعر حين قال أوس بن حجر: ([387])

ولستُ بخابئٍ أبدًا طعامًا حِذارَ غدٍ، لكل غدٍ طعامُ

وقال آخر:([388])

كلوا اليومَ من رزق الإله وأبشروا

فإن على الرحمن رزقكم غدا

ذكرت الكاتبة تلك الأمثال للتعبير عن سخطها من سوء استخدام الناس لها، وهم غالبًا ما يذكرون هذا المثل لتبرير تبذيرهم، وليس للتعبير عن الكرم أو السخاء، وأحيانًا يأتي المثل متداخلاً في نص الرواية بشكل عفوي، ينصهر في متن النص الروائي بحيث لا يخرج القارئ من جو النص، كقولها: "الماء تكذب الغطاس.."([389]). لكنها أخفقت بعدم ذكر المثل بلهجة شخصية الرواية: "الميه بتكذب الغطاس"([390])، فالمثل دارج

([386]) ينظر: عز الدين المناصرة، علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، ط1، عمَّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1427/ 2006. ص137.

([387]) ديوان، أوس بن حجر،115؛ بلوغ الأرب، الألوسي، ج3/ 104.

([388]) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 2/ 182.

([389]) ديمة السمان، الضلع المفقود، س27.

([390]) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، 814.

بالعامية، ونقله بالعامية دون تحريف يصبح أكثر إقناعًا للقارئ، وهذا المثل يضرب لمن لا يقنع إلا بالبرهان العملي.

لم تتوانَ عن الإدلاء برأيها من خلال المثل الشعبي خصوصًا عندما حاولت أن تبين بأن أسلوب تعامل القائد مع المجتمع بطيبة مفرطة لا يمكن أن يكون له تبعات حميدة: "الليونة ساعة الشدة ضعف"([391])، فالمجتمع بعد ذلك يصبح اتكاليًّا، ضعيفًا، أكثر من ذلك فإنهم يتطاولون على بعضهم بشتى الأساليب، وهنا فإن الكاتبة تدعو القائد أن يكون حازمًا.

وقد ورد هذا المعنى في بيت الشعر الذي تحول إلى مثل يقال نتيجة تكراره:([392])

وفي اللِّين ضعفٌ والشراسةِ هيبةٌ

ومن لا يُهب يُحمل على مركب وَعْر

استخدمت الكاتبة المثل الشعبي القائل "الجوع كافر" لتبرير تصرفات الناس في ذلك الزمان، بقولها: "الجوع كافر يا عنبرة.. فلا لوم على

([391]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص31؛ تكرر في الضلع المفقود، ص36.

([392]) أبو علي القالي، الأمالي، 1/ 424، فقرة (1367).

جائع.. وما حصل لا يمكن أن يكون مقياسًا لإخلاص أو خيانة.. فالظرف قاهر.."[393].

ورد هذا المثل الشعبي في (معجم الأمثال الفلسطينية): "الجوع كافر، وقالوا: "الجوعان بيوكل قرمية المكنسة"، و"الجوع ذلاّل والعطش قتّال" ويضرب المثل للتهويل من آثار الجوع التي قد تجعل الجائع الفقير مجرمًا، أو خارجًا على القانون، أو سارقًا، أو كافرًا[394].

أجادت الكاتبة في تضمين النص بهذا المثل الشعبي ما قرَّب لغته من الواقع.

ووظفت الكاتبة المثل القائل: "شقوا عصا الطاعة "[395]، وقد ورد هذا المثل في (معجم مجمع الأمثال) على الشكل الآتي: "شق فُلان عصا المسلمين"[396]، ويضرب المثل لمن يفرق جمع الجماعة، فاتكأت عليه للدفاع عن فكرتها التي عبَّرت عنها خلال نصها الروائي، فجاء التوظيف منسجمًا مع النسيج الروائي، بحيث يصعب على القارئ ملاحظة أي

---

(393) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص33-34؛ تكرر في جناح ضاقت به السماء، ص20.

(394) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص288.

(395) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص36.

(396) الميداني، معجم مجمع الأمثال، ص361.

اختلاف في سير الأحداث، بل إنه يتفاعل معها دون حاجة للوقوف أو الانقطاع.

وكذلك، أيضًا، في توظيفها للمثل القائل: "لا يفل الحديد إلا الحديد"[397]، الذي استشهد به كثير من الشعراء ومنهم (ابن النبيه) عندما قال:[398]

لمولانا الخليفة فيه رأيٌ حديدٌ لا يَفلُ ولا يُفلُّ

وقد ورد هذا المثل بالصيغة نفسها التي وظفتها الكاتبة في معجم مجمع الأمثال، "لا يفل الحديد إلا الحديد"، وهذا المثل شبيه بقولهم: "الحديد بالحديد يُفلح"[399]. يضرب في من يواجه الأمور الجسام بالحزم والشدة والقوة لا باللين.

استخدمت الكاتبة المثل العربي القائل: "في التأني السلامة وفي العجلة الندامةُ"[400]، بقولها: "في التأني السلامة.."[401]، لتوضح الحالة العاطفية التي وصل إليها (عياش)، ولكنها في الوقت ذاته تطلعنا على الخطورة

---

[397] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص36؛ تكرر في برج اللقلق، 1/ 161.

[398] ابن النبيه، ديوانه، ص259.

[399] الميداني، معجم مجمع الأمثال، ص616.

[400] حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص577.

[401] ديمة السمان، الضلع المفقود، ص87.

التي يجسدها (المهراجا) والد (مريم)، الذي كان لا يسمح بتقليص الفجوة الطبقية في المجتمع، فهو السيد المطاع، والآخرون عليهم الطاعة، والعمل على خدمته، حتى ابنته، ترتعد فرائصها بمجرد التفكير بأنه قد يعرف بعلاقتها العاطفية مع (عيّاش)، فهي تقول لحبيبها: تمهل، ولا تستعجل بإخبار والدي بعلاقتنا هذه.

ورد المثل في (معجم الأمثال الفلسطينية) على النحو الآتي: "في التأني السلامة وفي العجلة الندامة"([402])، ويضرب للحث على التأني ومدحه، وذم العجلة. عبّرت الكاتبة عن فكرتها بهذا المثل، وصورت لنا مقدار الخطر الذي تمثله شخصية (المهراجا).

وظفت الكاتبة المثل العربي الذي يدعو إلى التمهل والانتظار حتى نهاية المهلة المعطاة عندما قالت: "إن غدٍ لناظره قريب"([403]). وقد ورد هذا المثل في مجمع الأمثال على النحو الآتي: "إنَّ غدا لناظره قريب"([404]).

أما أصل المثل فقائله (قراد ابن أجدع) في حضرة الملك (النعمان بن المنذر) وكان (قراد) قد كفل رجلاً من طئ كان قد جاء إلى (النعمان) في

([402]) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص577.

([403])ديمة السمان، الضلع المفقود، ص151.

([404]) الميداني، مجمع الأمثال، ص70.

يوم بؤسه، لما انتهى عام على انتظار (الطائي) أراد (النعمان) قتل كفيله (قراد) عندها قال قراد:[405]

فإن يك صدرُ هذا اليوم ولّى   فإن غدًا لِناظِرِه قريبُ

فاستخدمت هذا المثل لتقول بأن شخصية الرواية (أمينة) على علم بمن قتل (سليمان)، ولكنها تريد استكمال الحصول على الأدلة الكافية لإدانة (شداد)، فعززت بهذا التوظيف التفاعل بين النص والمتلقي.

ورد ذكر هذا البيت في أمالي القالي، وذكر على لسان أبي علي القالي نقلاً عن ابن الأنباري بأن الشعر لأبي هدبة بن خشرم،[406]، قي قصيدة مطلعها[407]

طَرِبتَ وأنت أحيانًا طروبُ   وكيف وقد تعلاك المشيبً

إلى أن يصل إلى قول:

فإنا قد حللنا دار بلوى   فتخطئُنا المنايا أو تصيبُ

فإن يك صدرُ هذا اليوم ولى   فإن غدا لناظره قريبُ

---

[405] ينظر: محمد جاد المولى، قصص العرب، 1/ 167.

[406]هدبة بن خشرم بن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، من قضاعة، وكان راوية الحطيئة، وقد توفي نحو (50هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، 8/ 78.

[407] القالي، الأمالي، الفقرة (199)، ص 80.

تحاول الكاتبة من خلال توظيف المثل الشعبي بثَّ قيمٍ، ومبادئ اجتماعية وسلوكية إنسانية كأهمية المحافظة على الوعد، بقولها: "وعد الحر دين عليه"(408).

وقد ورد هذا المثل في معجم الأمثال العربية(409) بالصيغة نفسها التي أوردتها الكاتبة في نصها الروائي.

وعندما قالت : "أنت تعرف أن الضيف أسير صاحب الدار.. وأنت الآن أسيري.. وعلى الأسير أن يكون مطيعًا وإلا لقي عقابًا.. فاجلس وخذ شيئًا من الطعام حتى ترتد إليك عافيتك وتواصل خدمة رجالك"(410)، فإنها توظف المثل القائل: "الضيف أسير المعزِّب"(411)، فاستخدمت مرامي هذا المثل بطريقة ذكية، تماهت مع النص بشكل ممتاز، وبثت الحياة في نصها، حتى خلته مشهدًا حقيقًا تتحرك شخوصه بأريحية وحرية.

كما وظفت المثل الشعبي الفلسطيني عندما قالت على لسان (حسناء): "والله ما عندنا سواها فقد آثرتك على نفسي.. فلا جود إلا من

---

(408) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص 239.

(409) يُنظر: محمود إسماعيل صيني، معجم الأمثال العربية، ص393/ 53.

(410) ديمة السمان، القافلة، ص37.

(411) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص482.

الموجود"([412]). ورد هذا المثل كما جاءت به الكاتبة في متن نصها في معجم الأمثال الفلسطينية: "الجود من الموجود"، ويضرب في الكريم يسخو بما هيأه له الله من رزق([413]).

جاءت الكاتبة بالمثل في الحوار الذي دار بين المضيف ممثلا بـ (حسناء) ابنة (الشيخ صالح)، وبين الضيف (صابر)، فاستعملته المضيفة أي المرأة، فهي التي تقول المثل، وهنا لا بدَّ أن أشير إلى أن غالبية الأمثال التي استخدمتها الكاتبة جاءت على لسان المرأة([414])، وقد وظفت المثل هنا، لكي تقنع الضيف بأنه لن يتسبب لهم بالعناء والتعب في تجهيز وإعداد الطعام، ولن يتكلفوا كثيرًا، بل سوف يقدمون ما هو متوفر في الأصل، وذلك حتى لا يشعر الضيف بأي نوع من الحرج، فترتاح نفسه ويطمئن بأنه ليس ضيفًا ثقيلاً على مضيفيه، فأجادت بتوظيف المثل، الذي أعطى حوارها صورة حية مشوقة.

كما وظفت المثل العربي بقولها: "فربت على كتفه وقال: إن هذا الشبل من ذاك الأسد"([415]). وقد ورد هذا المثل في المراجع العربية بصور عديدة،

([412]) ديمة السمان، م.س.، ص37.

([413]) حسين لوباني، م.س.، ص285.

([414]) ينظر: حفيظة أحمد، بنية الخطاب، ص342.

([415]) ديمة السمان، القافلة، ص39؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 46.

فمثلاً ورد في (مجمع الأمثال) على النحو الآتي: "من أشبهَ أباهُ فما ظلم"[416]، أي لم يضع الشبه في غير موضعه، لأنه ليس أحد أولى به منه بأن يشبهه، لكنها تشبه (صابر) بأنه كالأسد في الشجاعة، وأن (صابر) يشبه والده في هذه الصفة، فقد ذكرت الكاتبة على لسان (الشيخ صالح) أيضا بأنه يعرف (حمدان)، والد صابر وأنه خبره شجاعًا مقدامًا، وها هو ذا ابنه صابر يثبت أنه ابن أبيه، وقد ورد المثل كما جاءت به الكاتبة بلفظه في معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية: "هذا الشبل من ذاك الأسد"[417].

لقد أحسنت في هذا التوظيف للمثل العربي، الذي أفادت به نصها الروائي، وأثرته بألفاظ مكثفة لها دلالات عميقة توفر للقارئ فضاءً واسعًا من الخيال، الذي يزخر بالصور الذهنية الرائعة.

وفي قولها: "فالله سبحانه أعطى عباده جميعًا عدلاً.. ولا يصح أن ننسى عطاء الله ونذكر عطاء الإنسان .. فالحق يعلو ولا يعلى عليه."[418]، فإنها توظف المثل الشعبي الفلسطيني الذي يثبت بأن الحق فوق كل الأمور، وأن الشخص مهما فعل من خير، ومهما كانت منزلته عند الناس،

---

[416] الميداني، معجم مجمع الأمثال، ص700.

[417] فؤاد عباس، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص217.

[418] ديمة السمان، القافلة، ص54؛ تكرر في جناح ضاقت به السماء، ص18.

فإنه لا يمكن أن يستثنى من إعطاء الحقوق لأصحابها، سواء الحق العام المتمثل في الدولة، أو حق الغير من الأفراد، ويستند على هذا المثل كثير من الناس في أحاديثهم العامة: "الحق يعلو ولا يعلى عليه"(419)، فاستثمرته الكاتبة لتحقِّق فكرتها وتوثّقها، مما أفاد النسيج الفني للنص.

استندت الكاتبة على معاني المثل الشعبي بقولها: "العفو عند المقدرة أيتها الكاهنة الفاضلة"(420)، وذلك للتعبير عن قوة الكاهنة من جهة، وعن إيمان الناس بهذه القدرة من جهة ثانية، وبذلك استطاعت إدخالنا في جو النص ومعايشتنا له، وأظنها أجادت باستخدام معنى المثل هذا بحيث عززت من عمق الفكرة ورسختها في نفس القارئ، وقد ورد هذا المعنى في المثل الذي يقول: "العقوبة ألأم حالات القدرة"(421)، ويضرب للذي يعفو وهو قادر، ونعني بذلك الكرم، وورد أيضًا على صياغة أخرى: " العفو عن المجرم من مواجب الكرم"(422).

---

(419) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص311.

(420) ديمة السمان، القافلة، ص71؛ تكرر في الأصابع الخفية، ص158؛ تكرر أيضًا في جناح ضاقت به السماء، ص121.

(421) الميداني، معجم مجمع الأمثال، ص448؛ محمود إسماعيل صيني، معجم الأمثال العربية، ص344 و47.

(422) الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة،ص185.

وتحاول الكاتبة أخذ دور المصلح الاجتماعي الناصح عندما تقول: "كان أولى بك أن ترحب بصهرك.. فالأقربون أولى بالمعروف."[423]، فدعمت فكرتها باستخدامها المثل القائل: "الأقربون أولى بالمعروف"[424] حيث أفادت نصها بهذا التوظيف الذي جاء منسجمًا مع واقع الحال.

لكنها تخفق في موقع آخر باستخدامها للمثل الشعبي، وخصوصًا عندما تقول: "والله إنني في غنى عن هذه الصداقة.. أئتمنك على أسراري فتستغلني؟ ولكن تذكر أنه ليس من طلعة إلا ومقابلها نزلة.."[425]، فالمثل "كل عالٍ إلى انحدار"[426]، لا يتلاءم مع ما قصدته الكاتبة في سردها الروائي، فقد أرادت الأمانة في حفظ السر بين الأصدقاء أو الأقارب.

وظفت الكاتبة المثل العربي الذي يضرب لمن بعمل عملاً فيه الضرر، فيرجع الضرر على صاحبه، وذلك عندما قالت على لسان (البحر): "جدك كان شيخ البحر حين تحداني.. فكان قبره دوامة صغيرة حملته إلى

---

[423] ديمة السمان، القافلة، ص93؛ تكرر هذا التوظيف في برج اللقلق، 2/ 53.

[424] حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص75.

[425] ديمة السمان، القافلة، ص151.

[426] الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، ص186.

العمق.. وكان على نفسه الجاني.."[427] إذ يقول المثل: "على أهلها تجني براقش"[428]، وظفته لكي تعزز فكرتها، بأن البحر الهائج لا يمكن تحديه، فمتحديه دائمًا خاسر مهما بلغت قوته وجبروته، حيث جاء التوظيف مناسبًا. كما إنها وظفت المثل لرسم شخصياتها الروائية، ولتحديد معالمها وطباعها، بقولها: "لا تعاتب المركب.. فما سمعنا عن فارس يلوم فرسه بعد هزيمة.. الفرس من الفارس"[429]، فالفارس أكثر أهمية من الفرس: "الفرس من ورا الفارس"[430].

وفي وصفها لشخصية الأمير الذي هاجم كبار مستشاري الملك بكلام فظ، أحرج به الملك الذي أخذ يطيب خاطر الرجل: "همس أحد الرجال في أذن صاحبه: "سكت الأمير دهرًا .. ونطق كفرا"[431]، فهي توظف المثل العربي: "سكت ألفًا ونطق خلفًا"[432]، فحددت بهذا التوظيف صفات شخصية الأمير وثقافته السطحية.

---

[427] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص1.

[428] الميداني، مجمع الأمثال، 2/ 14، رقم المثل (2427).

[429] ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص44؛ وقد تكرر ص52.

[430] حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص563.

[431] ديمة السمان، م.س.، 138.

[432] الميداني، معجم مجمع الأمثال، ص325

في بعض الأحيان توظف المثل الشعبي لتبين مواقف شخصياتها الروائية كقولها: "كل فرس لها خيّال"([433])، فمن خلال هذا المثل نجدها ترسم لنا قوة وذكاء شخصية المرأة، التي ترفض من يتقدم لخطبتها بسبب القرابة، أو المنزلة الاجتماعية، أو غير ذلك، إنما هي شخصية حازمة قوية تعي ما تريد، والعامة يرددون هذا المثل بكثرة: "كل فولة مسوسة إلها ألف كيّال أعور"([434]) و" كل ثوب وإله لبّيس"([435]). تريدها امرأة قوية، ترفض الاقتران بزوج لا يناسب ذوقها الأخلاقي والثقافي والاجتماعي. و(نفوذ) هنا تمثل المعادل الموضوعي لكل فتاة عربية أصيلة ترفض الاقتران بزوج لا يتصف بالصفات الحميدة، وخصوصًا بمن لا يكون له دور في صفوف الثورة والمقاومة الشريفة.

وقد زادت الكاتبة من صفات السوء عند (حمدان)، تلك الشخصية المثيرة للجدل، عندما قالت: "كل ممنوع عنده مباح"([436])، لتصوير ملامح شخصية (حمدان)، وهي بذلك تعبِّر عن وجهة نظر الكثيرين، بأن الذي لا دور له في مواجهة الاحتلال الغاشم، هو إنسان مستهتر أناني يبيح

([433]) ديمة السمان، م.س.، ص20.

([434])حسين علي لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، 642.

([435])حسين علي لوباني، م.ن.، ص633.

([436]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، ص20.

لنفسه ما يرفضه الآخرون، ومتغطرس لا توجد عنده قيم ولا انتماء لمجتمعه وبلده، فهو لذلك غير مرغوب فيه، وقد ورد المثل الشعبي الذي استندت إليه الكاتبة في (معجم الأمثال الفلسطينية): "كل ممنوع متبوع"[437].

لكن الكاتبة تطلعنا على نمط آخر من النساء المسالمات الخانعات اللواتي يقبلن بكل شيء دون مناقشة، طلبًا لراحة البال، كشخصية الأم بقولها: "كلب يعوي معك ولا كلب يعوي عليك"[438]. تحاول إقناع زوجها بقبول (حمدان) الذي يتصف بأخلاق السوء، وبالخسة، والنذالة، زوجًا لابنتها الوحيدة (نفوذ) لاستمالته وعدم معاداته، لا لشيء إلا لخوفها من شره، وما يمكن أن يفعله إذا رده (الشيخ فلاح) خائبًا. جاء هذا المثل سلبيًّا في معناه، وهنا، فإن الكاتبة قد وظفته لتبين خطأ استعماله السلبي في مجتمعنا، ولتبين لنا كم نحن نداري خوفنا وجبننا من قول أو فعل الصواب حتى داخل الأسرة الواحدة، فما بالك في المجتمع الأوسع، فالكاتبة تستخدم هذا المثل وكأن لسان حالها يقول كفاكم جهلاً، ونسمع

---

(437) حسين علي لوباني، م.س.، ص647.

(438) ديمة السمان، م.س.، ص38.

رنين هذا المثل يزنُّ في آذاننا كثيراً: "كلب يعوي معك، ولا كلب يعوي عليك"([439]).

تعود الكاتبة لتصور من خلال المثل جانبًا مهمًّا من شخصية الرواية (عناد)، الثائر المطارد في الجبال والمُغر، الذي هو أسد في الشجاعة؛ بقولها: "سأذهب مع عبود .. ولو وضعوا بين عيني البارود، وصفدوني بالقيود.. وخيروني بين الموت والخلود.. لن أبدل الأسود بالقرود.."([440]) مستمدة المثل القائل: "تبدلت غزلانها بقرودها"([441]).

وتستمر في رسم شخصية عناد لتعرفنا إلى ملامحها، (عناد) شجاع كالأسد، مخلص لوطنه، قوي في إيمانه، لا يترك لعواطفه العنان، فعاطفته تجاه الوطن، هذه الشخصية الثورية التي هي المعادل الموضوعي للثائر الفلسطيني المتمسك بقضايا وواجبات الوطن، فالثائر يعتبر الواجب الوطني أهم من العلاقات الغرامية، ومحبة الوطن لا توازيها محبة أخرى، لأن الثائر وهب نفسه للوطن، والحبيبة لا تستطيع شراءه، فقد سبقها الوطن بنيل كل المحبة، تقول: "لقد سبق السيف العذل"([442])، ولا

([439]) حسين لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص633.

([440]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، 40ص.

([441]) حسن لوباني، م.س.، 256.

([442]) ديمة السمان، م.س.، 94؛ تكرر: جناح ضاقت به السماء، 173.

يتنازل عن علاقته المتينة مع الوطن على الرغم من كل المحاولات التي تبذلها (نفوذ) الفتاة التي أحبته إذ تقول: "وأنا أقول أزاود على الشاري وأشتريك بعمري"([443])، فيجيبها بكل حزم: "سبق السيف العذل"([444])، وهذا ما ينطبق على كثير من الأزواج في فلسطين، فالخطيب يستشهد، والزوج يعتقل، والحبيب يبعد عن الوطن، وتبقى نساء فلسطين بانتظار تحرير الوطن ليفسح المجال أمامهن في حياة أسرية تخلو من بؤس الفراق...

وتوظف الكاتبة المثل في وصف مرحلة زمنية من مراحل الرواية وهي سنوات العشرينيات من القرن الماضي، بقولها: "رزقي ورزقكم على الله يا أخوان.. والمثل يقول: قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق."([445])، فتصور سوء الحالة الاقتصادية، وتبين من خلال المثل حالة الصراع بين أبناء المهنة الواحدة الذين يتنافسون في الحصول على الرزق، الذي كان ضئيلاً في مجمله، مستمدة قولها من المثل القائل: "قطع الأرزاق من قطع الأعناق"([446]).

([443]) ديمة السمان، جناح ضاقت به السماء، 40.

([444]) الميداني، معجم مجمع الأمثال، 1/ 312.

([445]) ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 12.

([446]) حسن لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، 603.

ويتكرر استخدامها للمثل الشعبي لتحديد صورة الزمن بقولها: "الكثرة غلبت الشجاعة"[447]، في محاولة (نفيسة) إقناع زوجها بعدم الذهاب إلى المقبرة خارج أسوار القدس القديمة، لقلقها عليه عندما قرر السكن ليلا خارج المدينة، حيث كانت تُغلق أبوابها بعد صلاة المغرب؛ خوفًا من اللصوص وقطّاع الطرق، فتبين هنا مقدار الخوف الذي تملك الناس في بدايات القرن الماضي، عندما كان أحدهم يخرج في عمل ما خارج أسوار القدس القديمة، وتقصد بالكثرة؛ كثرة اللصوص وهو يقابلهم وحده: "الكثرةْ غلبت الشجاعة"[448].

كما وظفت المثل الشعبي عندما قالت على لسان (أبو أحمد) أحد كبار السن في الحي: "اصبروا .. الصباح رباح"[449]، استخدمت هذا المثل الشعبي؛ لتوضح الصورة التي كان عليها الحي عندما ساد القلق على اختفاء (عبد الجبار)، وقد تمكنت الكاتبة من رسم صورة أهل الحي الذين أصابهم الخوف الشديد على أحد رجالهم، وكان الوقت ليلاً، وفي الغد- إن شاء الله- نبحث عنه بشكل أفضل، وقد قيل المثل، بشكل

---

(447) ديمة السمان، م.س.، 1/ 25و 1/ 61.

(448) حسن لوباني، م.س.، 619.

(449) ديمة السمان، م.س.، 1/ 26.

عفوي، لا تصنّع، ولا إقحام فيه، وجاء على لسان أكبر الموجودين سنًّا، بحيث خدم النص في وصف الزمن: "الصباح رباحْ"([450]).

عززت الكاتبة مفهوم العلاقات الاجتماعية بين الأصدقاء، عن طريق دعم هذه العلاقة بالصدق والوفاء عندما قالت: "الصديق الطيب أفضل من الأخ"([451]). أرادت من هذا التوظيف أن تبين عمق العلاقة بين الأصدقاء الثلاثة، (أبو رعد وأبو الطاهر وعبد الجبار)، وهم بالتالي أنموذج للعلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع، فالصديق الطيب، ربما يكون أكثر شفقة ورحمة وإخلاصًا للصديق من الأخ، وقد ورد المثل الذي ينطبق على هذا اللفظ في معجم الأمثال الفلسطينية على النحو الآتي: "رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمُّكَ"([452]).

أشارت الكاتبة بطريقة ذكية إلى المثل الشعبي السلبي على لسان ضابط يهودي، قائلة: "الكف لا يناطح مخرز"([453])، لتبين خبثهم في التعامل مع الإنسان العربي العادي لكسر إرادته وتثبيط عزيمته، فهو- أي العدو- يريد القول بأن السكين أو السيف لا يمكن لها أن تواجه الرشاش

([450]) حسن لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص465.

([451]) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 27.

([452]) حسن لوباني، م.س.، ص272.

([453]) ديمة السمان، برج اللقلق، 40؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 100.

والمدفعية، ويدعوه بعدم مقاومته، فيقع الجاهل في هذا الفخ الذي ينصبه الضابط اليهودي أو رجل المخابرات في غرف التحقيق، إلا إن الرجل القوي المتماسك لا تنطلي عليه هذه الخدع، فالمثل الشعبي هذا يستخدم من قبل اليهود في مواجهة الهمة القتالية عند الشباب الفلسطيني، أما الشباب الواعي، فإنه يجيب بأن الكف إذا كانت من حديد فإنها ستكسر المخرز، ورد هذا المثل في معجم الأمثال الفلسطينية على النحو الآتي: "كفّ ما بيلاطم مخرز"(454)، فاستطاعت الكاتبة دمجه في حيثيات الحوار بطريقة سلسة حتى ظهر في بنيته منسجما بطريقة لافتة.

ذكرتْ مثلاً آخرًا لا يقل عن سابقه سلبية، عندما قالت على لسان (أبو رعد): "يا روح ما بعدك روح"(455). يشير هذا المثل الذي استخدمته الكاتبة إلى الدلالة على رفضها لكل الأساليب المشبوهة التي يتبعها الغرب، ولذلك فقد ورد المثل الشعبي على لسان (أبو رعد) الذي ذكر بأنه من الأمثلة التي يستخدمها الغرب بهدف الحفاظ على نفسه وعلى ممتلكاته، متجاهلاً ما عليه من حقوق وواجبات تجاه الآخرين. ورد هذا

---

(454) حسن لوباني، معجم الأمثال العربية، ص627.

(455) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 18.

المثل تمامًا كما ذكرته الكاتبة في (معجم الأمثال الفلسطينية): "يا روح ما بعدك روح"[456].

تتكئ الكاتبة كثيرًا في نقل أفكارها للقارئ على المثل الشعبي، لأن ذلك طريق سهل لبلوغ غايتها، إلا أن هذا الطريق يبعدها كثيرًا عن اللغة الفنية لسردها الروائي، فنجدها تقول على لسان (أبو رعد): "الذي يده بالماء.. ليس كالذي يده بالنار"[457]، وهي توظف نفس هذا المثل في مواطن أخرى من الرواية نفسها، لتعبر من خلال هذا التوظيف عن الحالة النفسية لشخصيتها التي تتعذب كثيرًا من شدة الخوف والقلق، بحيث تحاول الشخصية تنبيه الآخرين إلى المعاناة الكبيرة التي تعيشها نتيجة الهموم والشقاء وعذاب البال، معتبرًا أن الآخرين- ويقصد بهم أصدقاءه- غير مقدّرين ما يعانيه صديقهم. ورد هذا المثل في معجم الأمثال الفلسطينية على النحو الآتي: "إللي إصبعه بالمي مش مثل اللّي إصبعه بالنار"[458]. لكنها عندما قالت "الدهن في العتاقي يا أبا الطاهر"[459]، فهي تريد القول بأن كبار السن، مهما بلغوا من الوهن،

---

(456) حسن لوباني، م.س.، ص880.

(457) ديمة السمان، برج اللقلق، 1/ 54؛ تكرر في برج اللقلق، 2/ 122.

(458) حسن لوباني، م.س.، ص 94.

(459) ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 54.

فإنهم يتحلون بالحكمة والخبرة والرؤيا، ولهم أهميتهم ودورهم المميز في خدمة القضايا الوطنية والاجتماعية، ورد هذا المثل في معجم الأمثال الفلسطينية: "الدهن في العتاقي"([460]).

تعود الكاتبة لتوظيف المثل الشعبي بصورة متناقضة، عندما يدور الحديث بين شخصيات الرواية حول الأحزاب والديمقراطية، فنجدها تقول على لسان (عبد الجبار): "نحن لا نريد أن ندخل في متاهات الصراعات الحزبية.. فالمثل يقول"إذا كثر الطباخين احترقت الطبخة" ولكثرة طباخينا احترقت الطبخة..([461]). تريد القول إنّ كثرة الآراء إنِ اختلفت، تؤدي إلى فساد الأمر، وضياع الحقوق، والنتيجة الحتمية هي الفشل الذريع من جهة، ومن جهة أخرى، تدعو إلى الديمقراطية والتعددية، وهنا يظهر التناقض في توظيف المثل.

أما عندما قالت على لسان (عبد الجبار): "خير من أن أكون من جماعة من ينطبق عليهم المثل "اللي يتجوز أمي هو عمي"([462])، فإنها أرادت أن تبيِّن الشخصية السلبية، بأنه يرضى بالأمر الواقع مهما كان هذا الواقع

([460]) حسن لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، ص359.

([461]) ديمة السمان، م.س.، 2/ 66.

([462]) ديمة السمان، م.ن.، 2/ 67.

أليمًا، خصوصًا الذين يرضون بالاحتلال كأمر واقع، وهي إشارة إلى عمالتهم وخنوعهم وأنانيتهم. ورد هذا المثل في معجم الأمثال الفلسطينية على النحو الآتي "مين أخذ أمي صار عمي"([463]).

ومن المتعارف عليه بأن المحققين في سجون الاحتلال يوظفون هذا المثل وغيره من الأمثال الشعبية السلبية، محاولة منهم في إقناع المعتقلين في الاهتمام بأنفسهم غير عابئين بالآخرين، فالمعتقل الضعيف الخاوي من الثقافة الثورية، ومن القيم النضالية، غالبًا ما يسقط بين براثن تلك الأمثال، فيتخذها مبررًا له، ليعترف على زملائه أملاً في التخلص من معاناة الاعتقال، غير عابئ بما يحدث للآخرين. وبإشارتها لهذا المثل الشعبي السلبي، فإنها تكشف تلك الأساليب النفسية التي يستخدمها المحققون الصهاينة لإسقاط الأسير الفلسطيني.

لكن العملاء لا ينفكون يستخدمون الأمثال الشعبية الفلسطينية بإيعاز واضح من أسيادهم (رجال المخابرات) عندما قال العميل (ليث) مخاطبًا مجموعة كبيرة من الناس، بعد أن أُفرج عن أحد الأسرى: "رجائي.. رجائي يا إخوان أن تراقبوا أولادكم.. فأولاد الحرام هذه الأيام كثيرون.. والأولاد جاهلون طائشون.. والمثل بيقول.."مجنون

([463]) حسن لوباني، م.س.، ص817.

يرمي حجر في بئر.. ألف عاقل ما يطولونه."[464] فالكاتبة تكمل رسم ملامح شخصية العميل (ليث)، فهو أناني، مدَّعٍ، مبتزّ، لا يرعى ذمة، منافق، يخاطب الناس وكأنه واعظ يرشدهم إلى جادة الصواب، لكنهم يعرفونه حق المعرفة، إلا إنهم يدارون مشاعرهم تجاهه خوفًا من سطوته ونفوذه عند رجال المخابرات اليهود. ساعد توظيف المثل: "مجنون رمى حجر ببير، ألف عاقل تيطلعوه"[465]، على تحقيق الصورة النمطية لشخصية العميل. لكن (ليث) يواجه بالرفض من قبل أقرب الناس إليه، عندما يعرض عليهم المساعدة في الإفراج عن ابن خاله علي، فيذهب إلى والدته يشكو لها أمر رفضهم قائلاً: "ذهبت اليوم إلى عمتي نعيمة وأولادها أعرض عليهم أن أتوسط لأخيهم علي حتى أخرجه من السجن فرفضوا.."خيرًا تفعل.. شرًّا تلقى"[466]. هنا يتظاهر العميل بثوب الحريص على ابن خاله، إلا أنهم يرفضون مساعدته لعلمهم أن ابن عمتهم عميل ساقط باع نفسه للمحتل، ويتاجر بدماء وعذابات أبناء جلدته، وقد وظفت الكاتبة هذا المثل بأسلوب ساخر قريب من الواقع.

---

[464] ديمة السمان، برج اللقلق، 2/ 101.

[465] حسن لوباني، معجم الأمثال الفلسطينية، 763.

[466] ديمة السمان، م.س.، 2/ 111.

وظفت الكاتبة قصة الصياد الذي عبأ المارد في قمقم، عندما قالت على لسان (مريم) في حوارها مع (عيّاش): "ألم تسمع بالقزم الذي عبأ العملاق في قمقم.. لماذا لا تحاول أن تفعل مثله؟"([467])؛ لتبين جبروت والد (مريم) حبيبة (عياش)، وتصور عجز (عياش) أمام جبروته، وتحثه(مريم) على الوقوف بصلابة أمام والدها (المهراجا) متأثرة بقصص ألف ليلة وليلة: "قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت انتفض وصار دخانًا صاعدًا إلى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلاً قليلاً، وإذا بالصياد قد أسرع وأخذ السدادة الرصاص وسد بها فم القمقم."([468]).

وتلجأ الكاتبة إلى الحكاية الشعبية المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة بقولها: "اقترب من الحصان يريد أن يعتلي صهوته.. فأبى الحصان.. وحاول ثانية وثالثة.. والحصان مصر على عناده.. رافضًا أن يذعن له.. فسأله لماذا؟ أجاب الحصان مشمئزًّا.. يشيح بوجهه عنه.. ويغطي أنفه

([467]) ديمة السمان، الضلع المفقود، ص94.

([468]) ألف ليلة وليلة، الليلة الرابعة، 1/ 20.

بحافره: أنت رجل مائي.. لك رائحة البحر وزنخة أسماكه"[469]. يشبه هذا النص حكاية (منشل الذهب): "روّح الولد يبكي عند الحصان. قاله: مالك؟ بذهن أجيبلهن حصانها. قاله: ما قلتلكاش إن أخذتها ندمان وإن دشرتها ندمان؟ طيب، هاي بسيطة. ارجع عند الملك، وقله: بدي عدة ولجام من فظة وذهب من كيس الوزير، ولا هلحكي لا بتم ولا بصير."[470]. نلاحظ أن الحصان في كلا النصين، يقوم بدور الناصح، الذي يقدم المشورة للإنسان، وقد وظفت الحكاية الشعبية، لتعطي سردها الروائي عنصر التشويق، حيث تداخلت الحكاية مع النص الروائي في سرد واحد[471].

كما تستند إلى مضامين الحكاية الشعبية في نسج روايتها من روح الحكايات الفلسطينية عندما تقول على لسان (الملك العجوز): "من ينقذها أعطيه الذهب والمال.. وعندما يئس قال من ينقذها أزوجها له.."[472]. تحدد الكاتبة بهذا التوظيف ملامح شخصية (عناد) إذ يتميز بالشجاعة، لدى (عناد) الذي جاء من وراء البحار، والتفوق على شباب

---

(469) ديمة السمان، الأصابع الخفية، ص76.

(470) إبراهيم مهوّي، قول يا طير، ص83.

(471) ينظرك ديمة السمان، م.س.، 75-80.

(472) ديمة السمان، الأصابع الخفية، 81.

(الجزيرة)، ويرمي بنفسه إلى البحر في سبيل إنقاذ الأميرة، التي وضع الملك مكافأة لمن ينقذ حياتها، فينجح في إنقاذها، وهذا ما يشبه ما ورد عن حكاية (الشاب الشجاع): "باقيلكم في هالمدينة ملك، وإله بنت حلوة كثير. هاظا الملك قال إنه بده يجوز بنته للي بيقدر يقتل الغول."[473].

في الحكاية، يخصص الملك جائزة كبيرة لمن يقتل الغول، بتزويج من يفعل ذلك بالأميرة الجميلة، فيأتي الشاب الشجاع ويخلصهم من الوحش... هي الحكاية نفسها تقريبًا، ولكن بتصرف من الكاتبة، نلمس اعتمادها على توظيف الحكاية الشعبية الفلسطينية في روايتها (الأصابع الخفية)، وبالتالي، أستطيع القول إنها خصصت مساحات كبيرة من نسجها الروائي لفظًا ومضمونًا مستعينة بالحكاية الشعبية، وهي بذلك تخرج عن التوظيف المحدود باللفظ أو بالمعنى، لتبحر في مجمل الحكاية الشعبية المروية على لسان جداتنا.

---

(473) إبراهيم مهوّي، قول يا طير، 139.

فهرست المصادر والمراجع

أ- المصادر

القرآن الكريم.

العهد القديم.

العهد الجديد.

1. ابن الأحنف، العباس(192هـ)، **ديوان العباس بن الأحنف**، بيروت: دار صادر، 1398/ 1977.
2. (مجهول)، **ألف ليلة وليلة**، ط10، بيروت: دار الفكر العربي، 2004.
3. ابن ثابت، حسَّان (50هـ)، **شرح ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري**، وضعه وضبط الديوان وشرحه، عبد الرحمن البرقوني، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1424هـ/ 2004م.
4. ابن حجر، أوس، **ديوان** ، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، ط3، بيروت: دار صادر، 1399هـ/ 1979م.
5. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (456هـ)، **طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف**، شكَّله وعلَّق على حواشيه وقدم له ووضع

فهارسه، نزار وجيه فلُّوح، صيدا، بيروت: المطبعة العصرية، الدار النموذجية، 1429هـ/ 2008م.

6. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عبَّاس، بيروت: دار الثقافة، (د.ت.).

7. ابن رجب، زين الدين (ت795)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط1، تحقيق محمد بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، المدينة المنورة: مكتبة الغُرباء الأثريَّة، 1417/ 1996.

8. ابن سيرين، محمد، **منتخب الكلام في تفسير الأحلام**، اعتنى به ورتبه محمود طعمة حلبي، ط6، بيروت: دار المعرفة، 1424هـ/ 2003م.

9. ابن شداد، عنترة (615م)، **ديوان عنترة**، ط3، بيروت: دار صادر، 1424هـ/ 2003م.

10. ابن العبد، طرفة، **ديوان طرفة بن العبد**، شرحه وضبط نصوصه وقدَّم له عمر فاروق الطبَّاع، بيروت: دار القلم، (د.ت.).

11. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (276هـ)، **عيون الأخبار**، تحقيق، مجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية للطباعة.

12. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، **سنن ابن ماجة**، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه، بشَّار عوَّاد معروف، ط1، بيروت: دار الجليل، 1418هـ/ 1998م.

13. ابن ملوح، قيس، **ديوان مجنون ليلى**، قدَّمه وشرحه، مجيد طرَّاد، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1416/ 1996.

14. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ)، **لسان العرب**، ط3 (طبعة جديدة محققة)، بيروت: دار صادر، 2004.

15. ابن النبيه، كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد (619هـ)، **ديوان**، تحقيق، عمر محمد الأسعد، ط1، القاهرة: دار الفكر، 1969م.

16. أبو طالب، علي:

1- **ديوان**، قدَّم له وشرحه، صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت: دار مكتبة الهلال، دار مكتبة البحار، (2003).

2- **نهج البلاغة**، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية صبحي الصالح، ط3، بيروت: دار الكتب اللبنانية، مكتبة المدرسة، 1983.

17. أبو القاسم الشابي، **ديوان أبي القاسم الشابي أغاني الحياة**، شرحه وضبط نصوصه وقدَّم له عمر فاروق الطَّباع، بيروت: شركة دار

الأرقم بن أبي الأرقم، (د.ت.).

18. امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي (540م)، **ديوان شعره**، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته، حنا فاخوري، بيروت: دار الجليل، (د.ت).

19. الأصبهاني، حسين بن محمد الراغب (ت502هـ)، **محاضر الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961.

20. الأصفهاني، أبو الفرج (ت356هـ)، **الأغاني**، شرحه وكتب حواشيه، عبد أ. علي مهنا، ط2 (طبعة جديدة منقحة ومصححة)، بيروت: دار الفكر، (د.ت.).

21. الألوسي، السيد محمد شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بهجة الأشري، ط3، القاهرة: دار الكتب الحديثة، (د.ت.).

22. بيدبا، **كتاب كليلة ودمنة**، ترجمه إلى العربية، عبد الله بن المقفع، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1991م.

23. الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ)، **الجامع الكبير**، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه، بشَّار عواد معروف، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.

24. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت429هـ)، **سحر البلاغة وسر البراعة**، صححه وضبطه عبد السلام الحوفي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405/ 1984.

25. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت250هـ):

1- **الحيوان**، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، ط2، بيروت: دارالكتب العلمية، 1424/ 2003.

2- **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ت.).

26. جبران، خليل جبران، **موسوعة جبران خليل جبران العربية**، شرح درويش الجويدي، ط1، صيدا؛ بيروت: المطبعة العصرية، الدار النموذجية، 1429هـ/ 2008م.

27. الحلِّي، صفي الدين (ت752هـ)، **الديوان** ، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1382/ 1962.

28. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت622هـ)، **إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب** المعروف بمعجم الأدباء، اعتنى بنسخه وتصحيحه، د.س. مرجليوث، مصر: مطبعة هندية، 1923م.

29. الحنبلي، زين الدين أبي الفرج ابن رجب (ت795هـ)، **فتح الباري**

شرح صحيح البخاري، تحقيق، محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون،ط1، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، 1417/ 1996.

30. الحنبلي، مجير الدين، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، بغداد: مكتبة النهضة، 1995.

31. الخيَّام، عمر، **رباعيات الخيام**، تعريب، وديع البستاني، مصر: دار المعارف، (د.ت.).

32. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، خرَّج آياته وعلَّق عليه واعتنى به نعيم حسين زرزور، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، 1428/ 2007.

33. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط17، بيروت: دار العلم للملايين، 2007.

34. الزوزني، الحسين بن الحسين، **شرح المعلقات السبع**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425/ 2004.

35. السمان، ديمة جمعة:

1. **الضلع المفقود**، ط1، القدس: دار العودة للدراسات والنشر، 1992.

2. **القافلة**، ط1، القدس: منشورات دار الهدى،1992.

3. **الأصابع الخفية**، ط1، القدس: دار الكتاب، 1993.

4. **جناح ضاقت به السماء**، ط1، أم الفحم: مؤسسة إبداع للنشر، 1995.

5. **برج اللقلق**، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، جزءان.

36. الشافعي، محمد بن إدريس (ت204)، **الديوان**، جمعه وحققه وشرحه، أميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425/ 2005.

37. الشنتمري، الأعلم (ت476هـ)، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، بيروت: دار الفكر، 1411/ 1990،

38. شوقي، أحمد، **الشوقيات**، بيروت: دار الفكر، (د.ت.).

39. الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي (ت178هـ)، **المفضليات**، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، ط9، القاهرة: دار المعارف، 2006م.

40. عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ)، **العقد الفريد**، شرحه وضبطه ورتب فهارسه، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت.).

41. القالي، إسماعيل بن القاسم بن عبدون (ت356هـ)، **الأمالي**، تحقيق، صلاح بن فتحي هلل وزميله، بيروت: المكتبة العصرية، 1427/ 2006.

42. القرشي، محمد بن أبي الخطَّاب (ت170هـ)، **جمهرة أشعار العرب**، قام بتحقيقه شرحًا وتقييمًا وتبويبًا، خليل شرف الدين، ط2، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1991م.

43. القرشي، محمد بن أبي الخطاب(ت170هـ)، **جمهرة أشعار العرب**،شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003/ 1424.

44. الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ)، **فوات الوفيات**، حققه وضبطه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، مصر: مكتبة السعادة، 1951.

45. المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، **شرح ديوان المتنبي**، وضعه عبد الرحمن البرقوني، بيروت: دار الكتاب، 1425/ 2005.

46. المرزباني، محمد بن عمران (384هـ)، **أشعار النساء**، حققه وقدم له، سامي مكي وزميله، ط1، بيروت: عالم الكتب للنشر

والتوزيع، 1415هـ/ 1995م.

47. مسلم، مسلم بن الحجَّاج، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، بيروت: دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، (د.ت.).

48. المقري، أحمد بن محمد بن أحمد (1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق، إحسان عبَّاس، بيروت: دار صادر، 2004م.

49. الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت518)،**مجمع الأمثال**، حققه وضبط غرائبه وعلق على حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت وصيدا: الدار النموذجية، المطبعة العصرية، 1424/ 2003.

50. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة)، القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه، (د.ت.).

ب- المراجع

1. (مجهول)، **مجموعة خطب و تصريحات و بيانات الرئيس جمال عبد الناصر**، القسم الثاني فبراير 1958- يناير 1960، القاهرة: مصلحة الاستعلامات.

2. إبراهيم، نبيلة:

أ- **نقد الرواية**، الرياض: النادي الأدبي، 1980.

ب- **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية**، الفجالة: مكتبة غريب، (د.ت.)

3. أبو اصبع، صالح وآخرون، **نحو دراسة تأصيلية للرواية الفلسطينية المعاصرة**، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت للنشر والتوزيع، 2000.

4. أبو بكر، وليد، **تجليات الواقع في الفن القصصي قراءات نقدية**، ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والتوزيع، 2003.

5. أبو نصر، عمر، **عنترة بن شداد فارس العرب وبطل الصحراء**، بيروت: المكتبة الثقافية، (د.ت.).

6. أحمد، حفيظة، **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 1950-2000**،ط1، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي،2007.

7. أحمد، فتحي، **تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني**، ط1، رام الله: الناشر أحمد فهمي، 1992.

8. أيوب، محمد، **الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة**،ط1، القدس: منشورات إتحاد الكتاب، 1997.

9. تشرتشل، دوندولف وزميله، **حرب حزيران 1967**، ترجمة زكي درويش، عكا: دار الجليل للطباعة والنشر، 1967م.

10. الجيوسي، سلمى الخضراء، **موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر** ، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للنشر، 1997. جزءان.

11. حاساسيان، مناويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين 1919-1939**، ط1، القدس: منشورات البيادر، 1987.

12. حمد، حسين علي، **قاموس المذاهب والأديان**، ط1، بيروت: دار الجليل، 1419هـ/ 1998م.

13. حوت، بيان نويهض، **فلسطين القضية الشعب الحضارة**، ط1، بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991.

14. خالدي، وليد:

1-**دير ياسين الجمعة**، 9/ 1948، ط1، بيروت: مؤسسة الدراسات المقدسية، 1999.

2- **كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها**، ط1، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية (د.ت.).

15. دباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، كفر قرع: دار الهدى، 1991م.

16. دندش، حسن نمر، **معجم الأبيات الشهيرة**، طرابلس لبنان: منشورات جَروس برس، (د.ت.).

17. روندو، فيليب، **الشرق الأوسط في سعيه للسلام**، ترجمة كمال الخولي، بيروت: المنشورات العربية، (د. ت)

18. سرحان، نمر، **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**، ط2، (الطبعة الكاملة من الألف إلى الياء)، (بدون مكان نشر، وبدون ناشر، وبدون تاريخ).

19. شراب، محمد محمد حسن، **عكا ربة الأسوار والآثار والأسرار**، ط1، عمَّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

20. شكر، شاكر هادي، **الحيوان في الأدب العربي**، ط1، بيروت: مكتبة النهضة العربية، 1405هـ/ 1985م.

21. شكري، صلاح الدين، **فلسطين ومؤتمر القمة العربي**، دمشق: المطبعة التعاونية، 1384هـ/ 1964م.

22. شلبي، أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ط4، القاهرة: مكتبة النهضة، 1989.

23. صالح، محسن، **الطريق إلى القدس دراسة تاريخية في رصد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، طبعة القاهرة الأولى، القاهرة: مركز الإعلام العربي، 1424هـ/ 2003م

24. صفوت،أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة**، ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، 1352هـ/ 1923م.

25. صيني، محمود إسماعيل وزميلاه، **معجم الأمثال العربية 882 مثلا شائعا مع شروحها واستعمالاتها**، بيروت: مكتبة لبنان، 1996م.

26. طوقان، إبراهيم عبد الفتَّاح، **ديوان إبراهيم**، ط2، بيروت: منشورات دار الأدب، 1966م.

27. عاشور سعيد عبد الفتَّاح، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م.

28. عاصي، ميشال وزميله، **المعجم المفصل في اللغة والأدب**،ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

29. عبَّاس، فؤاد، **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط1، عمَّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1989.

30. عبد الصمد، محمد كامل، **الأمثال الشعبية التي تخالف ما جاء في نصوص الإسلام**، القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع، 1980.

31. عبوشي، واصف، **فلسطين قبل الضياع**، ترجمة علي الجرباوي، بيروت: رياض الريس، (د.ت.).

32. عرابي، رجا عبد الحميد، **الكافي في تاريخ القدس**، ط1، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع، 2009م.

33. عقَّاد، عباس محمود، **عبقرية عمر**، القاهرة: دار الهلال، (د.ت.).

34. علمي، أحمد، حرب عام 1948، ط2، **عكا**: دار الأسوار، 1989م.

35. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، بيروت، بغداد: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، 1980م. ص 786.

36. عوض، سيمون، **طيور فلسطين**، ط1، بيت جالا: مركز التعليم البيئي، 2009م.

37. عيلة، زكي، **المرأة في الرواية الفلسطينية**، ط1، رام الله: مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، 2003.

38. فوزي، محمد، **حكام مصر**، ط1، القاهرة: مركز الراية للنشر والإعلام، 1997م.

39. قدري، إيلي، **في المتاهة العربية- الانجليزية، مراسلات الحسين مكماهون وتفسيراتها 1914-1939**، القدس: جامعة القدس. (د.ت.).

40. قمني، سيد، **الأسطورة والتراث**، ط3، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة، 1999.

41. كنعان، توفيق، **الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين**، رام الله: منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، 1998.

42. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت.)

43. الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**، ط9، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م.

44. لوباني، حسين علي:

أ- **معجم الأمثال الفلسطينية**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1999م.

ب- **معجم الألفاظ التراثية في فلسطين**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2007م

45. مناصرة، عز الدين، **علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)**، ط1، عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1427/ 2006.

46. مهوي، إبراهيم وزميله، **قول يا طير: (نصوص ودراسة في الحكاية الشعبية الفلسطينية)**، طبعة عربية منقحة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2001.

47. مولى، محمد جاد زميلاه، **قصص العرب**، ط4 (فيها زيادة وضبط وشرح وتدقيق)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1381/ 1962.

48. ناصيف، أميل، **أروع ما قيل من الوصايا**، ط1، بيروت: دار الجليل، 1415/ 1995.

49. نبهاني، تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، (أصول الفقه)، بيروت: دار الأمة، 2005م.

50. همنجواي، أرنست، **الشيخ والبحر**، نقله إلى العربية، منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1985م.

51. يعقوب، أميل بديع، **موسوعة أمثال العرب**، ط1، بيروت: دار الجليل، 1415هـ/ 1995م.

سمير الجندي
بطاقة ذاتية – أدبية

مواليد مدينة القدس في 29/ 11/ 1958.

المؤهلات العلمية:

1. درجة الدبلوم في التربية.
2. درجة البكالوريوس في الأدب العربي.
3. درجة الماجستير في اللغة العربية في النقد الحديث.

العمل النقابي :

1. رئيس نقابة العاملين في قطاع التعليم الخاص في القدس.
2. عضو اتحاد قطاعات التعليم في الأرض المحتلة.
3. أحد مؤسسي الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.
4. مسؤول العلاقات الدولية في اتحاد المعلمين.
5. الناطق الإعلامي باسم الإتحاد.
6. عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.

النشاط الاجتماعي والعمل الجماهيري:

1. عضو الهيئة الإدارية في نادي الهلال المقدسي.
2. عضو الهيئة الإدارية في مؤسسة العناية الأهلية.
3. عضو الهيئة الإدارية في جمعية برج اللقلق.
4. نائب رئيس نادي بيت حنينا.

العمل الوطني :

1. عضو سابق إقليم فتح القدس.
2. عضو اللجنة الشعبية للتعليم إبان الانتفاضة.
3. عضو المؤتمر الشعبي في القدس.

المشاركات الدولية:

1. شارك في المؤتمر العام لاتحاد المعلمين البريطانيين.
2. شارك في المؤتمر العام لاتحاد المعلمين- تركيا.
3. شارك في المؤتمر العام لاتحاد المعلمين- فرنسا.
4. عمل ورشات عمل ولقاءات مع المعلمين النرويجيين.
5. لقاءات وورشات عمل مع المعلمين الإسكوتلنديين- جلاسكو.
6. مؤتمر حقوق الإنسان في النرويج وتقديم ورقة عمل عن اللاجئين.

7. المشاركة في المؤتمر العام لاتحاد العالمي للمعلمين– تايلند.

المشاركات الثقافية والإنجازات الأدبية:

1. أحد أعضاء ندوة اليوم السابع – المسرح الوطني الفلسطيني.
2. له كتابات في الصحف والمجلات المحلية والدولية.
3. له دراسات أدبية نقدية وأوراق عمل نشرت عبر المواقع الإلكترونية.

صدر له:

1. "الطوفان"– قصص. الدار للنشر والتوزيع، القدس، 2006.
2. "نبضات"– نصوص. صدرت بالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب، رام الله، 2007.
3. "خلود"– رواية. الكتب للطباعة والنشر، القدس، 2009.
4. "باب العامود"– قصص. دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2011.
5. الرواية الفلسطينية والتراث، روايات ديمة السمان أنموذجًا. دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2011.